

تاريخ
اسكندر الكبير

وهو

اسكندر المكدوني

الملقب بذي القرنين

اذا المرء افنى العمر لم يستمع به · حديثاً ولم يعلم باخبار من مضى
تساوى بمن لم يدر ما العيش واستوى · خيالاً طرا في مدة الحلم وانقضى

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي تفرّدَ بالجبروت والجلال رب السماوات والارض لاينتهي ملكهُ ولا ينقرض بانقراض القرون والاجيال . الذي جعل العالم ميداناً تتسابق في حلبتهِ الفرسان . فيخرج الشجاع ظافراً و يشتمل ببرُد الذل الوكِلُ الجبان . فينشر ذاك بذكره في كل عصرٍ بعدَ الطيّ ويطوي ذاك بخمولهِ في زوايا الهوان وهو حيّ

اما بعد فلما كانت اسفار التواريخ مرآةً تسفر عن وجوه الحوادث في الاعصار العابرة . ودستوراً فيهِ عبرةٌ وتبصرةٌ لمن نظر في الاجيال الغابرة . وحديقة يتفكه باثمارها الخاطر . و يتنزه بازهارها الناظر . وكان تاريخ اسكندر ابن فيلبس المكدوني المعروف بذي القرنين نزهة للنفوس . وتاجاً فوق الدهر مرصعاً بدرر تتلالاء كالشموس . واليهِ يشار ببنان الايام ان لاعطر بعد عروس . فيهِ جنات ربيع اثمارها يانعة . وفي جوانبها اعطار ازهار الروايات ضائعة . وحاوية من الحقيقة أعذب مورد . ولتنزيه الافكار اطرب منشدٍ ومغرّد . وكان كثيراً من المؤرخين السالفين قد اختلفت فيهِ رواياتهم . وتصحفت بتمادي الايام عباراتهم . فلا تجد رواية تطابق الاخرى . ولعل ذلك من تواتر الاغلاظ التي سقط بها النساخ دهراً فدهراً . فضلاً عن سقم

الترجمة الناجمة عن عدم توضيح الالفاظ العسرة . واهمال ما وجب تدوينهُ من الحوادث المشتهرة . وسبك المعاني في غير قوالبها . واردافها بتاويلات بعدت عن المقصود في مآربها . وقفت على التاريخ اليوناني فوجدتهُ كامل الاشارة . واضح العبارة . مستوفياً حاوياً الاخبار الحقيقية بالتفصيل . وما حازه الملك المظفر من السيادة والرفعة والتبجيل . وما بلغت اليهِ مملكته من سمو الرتبة في منار المعالي . وما تكللت بهِ في منازل البروج السامية من اكاليل اللالكي وكيف انهُ تغلب على الفرس بباس شديد . وعزم ثابت وطيد . وقتل ملكهم واخذ ابنتهُ وروح المشرق ورفع على هام الممالك سدتهُ . وافتتح مملكة الهند وقتل بورُس ملكها بحد السيف واستولى على ماحواه من المهمات والجند . فاستخرجته الى العربية ليعم نفعهُ ابناء الوطن و يطلعوا على ما جرى من الغرائب في سالف الزمن والله في توفيقي المسؤول فانهُ اعظم مامول



الفصل الاول

كان فيلبس ابو اسكندر يونانيًا وكان ملكًا على مكدونية وكان اسم امراتهِ اوليمبيادة وكانت بديعة الجمال ولم يكن لها ولدٌ . ولذا كان فيلبس كاسف البال اذ كان ذا غنىً عظيم . فلم يزل يتفكر في نفسهِ ويقول كيف يكون حال مملكتي من بعدي ولا ولد لي . ولم يشا ان يحزن امراته اوليمبيادة او يتخذ غيرها لفرط جمالها وكانت في الذكا تفوق سائر النساء . وكانت مملكة فيلبس يومئذٍ خاضعة لداريوس ملك فارس وكان ان داريوس ارسل يدعو فيلبس ليخرج لمعونتهِ في الحرب كعادة ملوكهم في ذلك الاعصار فاستدعى عند خروجه من دار مملكتهِ امراتهُ اوليمبياده وقال انتِ تعلمين عظم محبتي لكِ وهوذا انا ماضٍ الى سيدي داريوس وانا غاية في الحزن اذ لم ارَ لي ولدًا مدة حياتي معك . فاعلمي اني لا ارى وجهك فيما بعد وتوجه بعساكره الى الحرب وبقيت اوليمبياده وحدها في حزن عظيم وكآبة شديدة ومن فرط غمها باتت طريحة الفراش فلما راتها وانيا احدى جواريها على هذه الحال وعلمت بمصابها واطلعت على شدة احزانها قالت لها التمس منك ايتها الملكة سيدتي ان لا تغتمي ولا تتكدري فاني اعرف فيلسوفًا في هذه المدينة عظيماً خبيرًا في صناعة التنجيم ومن العجب ان نجم اصاب فان شئتِ اذهب اليهِ واتيكِ بهِ فينظر في امرك ويزيل مصابك . فاجابتها الملكة قائلة اذهبي واسرعي بهِ ينجم لي لعلي ارزق ولدًا فذهبت الجارية وانيا واحضرت الفيلسوف وكان اسمهُ نكتينافون وهذا كان مرة ملكًا على مصر ثم تنكر متشاغلا بصناعة النجوم فانهُ ماهر في علم الفلك قالت لهُ الملكة ايها الرجل المصري اصحيح ما اخبرت بهِ عنك وهل لك قدرة ان ارزق ولدًا بتنجيمك فان حملت وولدت ولدًا

للملك فيلبس وارحت انت قلبي وقلبهُ تكون عندنا عظيماً وتحوز ملءَ الاكرام والاجلال وتدعى نديمًا في مكدونية ومهما تمنيت مني اعطيك فبادر بحكمتك قبل مجيء سيدي فيلبس

اما نكتينافون فلما راى الملكة اوليمبياده وحسن صورتها وبها جمالها حار واندهش ثم دنا منها وتفرس ولم يدرِ بما يجيبها لما داخلهُ من فرط الانشغاف بجمالها الباهر ففطنت في الامر واخذتهُ سرًا وشرعت تحدثهُ بهدو وقالت ما شانك ياهذا ولماذا تتفرّس فيَّ فها انا خاضعة لك بعد ان احبل بولد فكلمها الرجل قائلاً لاح لي ايتها الملكة ان احد الهتنا امون الصنم ومعهُ فيلوجابيس واركيوليوس مزمع ان يرقد معك هذه الليلة فقالت هلمَّ اذًا الى البلاط واتخذ لك مبيتًا عندي حتى اذا جاءت الالهة اليَّ تكون قريبًا مني وتنظر في التنجيم لكي تجيبهم على حسب حكمتك ومعرفتك اما نكتينافون فذهب ونظر في تنجيمهِ واتى الى البلاط بشكل امون الصنم عساه ان ينال بغيته من الملكة فجعل راسهُ كشكل نسر من ذهب وعليهِ سروة من ذهب بهيئة ملك الحيات بذنب نظيره ورجلاه كرجلي سبع وظهره بصورة احد الحيوانات ودخل على الملكة اوليمبياده فلما ابصرتهُ ارتاعت جدًا فاضطجع معها تلك الليلة ثم خرج في الصباح بحيلة استعملها ولم يشعر بهِ احد ودخل البيت الذي اعدتهُ لهُ وذهب في الغد وكلمها قائلاً فلتبتهج الملكة وتبشر اليوم فانكِ ظفرت بما لم ينلهُ احد من نساء مكدونية وها قد اثمرت احشاؤكِ بولد ذكر عتيد ان يملك الارض فاذا حضرتك الساعة اعلميني فاتيك في اية لحظة يولد بها الصبي فلما حضرت ساعة الطلق جاء نكتينافون وفتح كتاب التنجيم فراى الافلاك مضطربة وليست ساعة سعد فاوعز الى القابلات ان ينكسنها الى اسفل لكي لا يولد الغلام حتى اذا دخل الليل وخيم الظلام واخذ الفلك قوته اشار الى القابلات ان ينزلنها فسقط الغلام وذلك في شهر اذار في الساعة التاسعة من الليل . ويقال انهُ لما ولد الصبي بكى وتكلم قائلاً اذا

اكملت اربعين سنة ساعود اليك ايتها الارض امي . واما الملكة فاخذت الصبي الى هيكل ابلون الصنم فصلى عليهِ كاهنه ودعا لهُ فطلبت الملكة من الكاهن ان يبين لها ماذا عسي ان يكون من هذا الغلام فتضرع الكاهن الى الصنم فظهر لهُ في الحلم واخبره بانهُ يكون جليلاً وملكًا عظيماً يملك الارض كلها و يحسن الصنيع الى روسائهِ ورجال دولتهِ وعظمائهِ و يبطش بملك مكدونية و يقتلهُ واذا بلغ اربعين سنة ينقلب الى الارض امهِ فاخبر الكاهن الملكة بهذا جميعهِ واما الملك فيلبس فلما فرغ من الحرب استأذن الملك داريوس بالعود الى بلاده وفي بعض الليالي كان نائمًا في الطريق على ماءٍ فراى حلمًا وهو ان امون الصنم ماسك اسكندر وهو صغير السن و يقول لفيلبس افرح ياملك مكدونية لانك رزقت هذا الغلام هو اسكندر باسل وشجاع في الحروب هو ملك الارض كلها فاستيقظ فيلبس منذهلاً واستدعى ارسطوطاليس الفيلسوف وقص عليهِ الرويا وفيما كان يتكلم اذا بنسر عظيم اتى واستقر على خيمة الملك و باض بيضة تدحرجت حتى وقفت في حضن الملك فانذهل فيلبس وهمّ ان يتحرك من مكانهِ فوقعت البيضة وانكسرت وخرج منها افعوان عظيم دار حول الخيمة دفعتين ثم عاد الى البيضة حينئذٍ قال ارسطوطاليس الحكيم للملك هذا هو الحلم الذي رايتهُ الليلة الماضية بعينه وفيما هم كذلك واذا وفدت من الملكة اوليمبياده رسالة تخبره بمولد الاسكندر ففرح جدًّا وتهلل وتاهب للسفر حتى اذا قرب من المدينة خرج للقائهِ عظماؤهُ ومعهم الغلام فاخذ الصبي وقبلهُ وصنع عيدًا عظيماً وشكر العناية العلوية المانحة الناس الخير والصلاح وقال هذا مزمع ان يحررنا من عبودية الفرس ويملك اطراف الارض ثم استدعى فيلبس الملك ارسطوطاليس الفيلسوف وقال لهُ ايها الفيلسوف اني قد سلمتك ولدي ووحيدي الاسكندر فعلمهُ حكمتك وادبهُ بكامل معارفك فاخذ الصبي بالتعلم ولم يمضِ عليهِ ثلث سنوات حتى اتقن شعر اوميروس وفن الموسيقى واصول اللغة وفروعها وشرع في علم

الفلك حتى حسده اولاد المكتب على اقبالهِ في العلم واما الاسكندر فذهب الى والدتهِ وقال يا امي اطلب اليك ان تسلميني الى نكتينافون الشهير اذ بلغني انهُ ماهر فاتعلم منهُ حكمة المصريين الهندسة والفلك والدوران العلوي والسفلي فاستدعت الملكه اوليمبياده نكتينافون وقالت ها اني اسلمك ولدي الاسكندر كي تعلمهُ العلم الفائق فاقبلهُ مني كولد لك لانهُ وحيدي وانت اخبر بذلك فتعلم الاسكندر من نكتينافون علوم المصريين والكلدانيين والصابئين والهندسة والاعداد وعلم الفلك فبلغ من العلم اعلى درجة وفاق اقرانه في تلك المدينة

الفصل الثاني

وكان عدد الطلبة الذين مع اسكندر في المكتب ثلثمائة صبيًا وجميعهم من سن الاسكندر . فاراد الفيلسوف ان يعرف مستقبل الاسكندر وما يكون من السعد والنحس فاقامهُ عريفًا على مائتي صبي واقام على مائتين عريفًا اخر اسمهُ بطليموس وجعل معهم رجلاً اخر اسمهُ فريونوشي . وقطع لكل صبي عصا بالسواءِ ثم صفهم للحرب والقتال على ماعظم من الحكمة والصناعة حتى نعجب الناس من حسن وقوفهم فكان من عادة اليونانيين ان يعلموا اولادهم الحرب من صغرهم فشرع الاولاد في الحرب والنزال وكان كل من خرج من الصفين وجرح اخرجوه من بينهم واما الاسكندر فكان كلما تغلب على احد من حزب بطليموس اجتذبهُ بعنف من ساحة الحرب واخذه اليهِ فلم يلبث حتى صارت الاربع مائة من حزبهِ وامسى بطليموس وحده ففرّ هاربًا مجروحًا من الاسكندر فلما راى الفيلسوف ذلك قال حقًا ان هذا شجاع يرتقي الى ذرى المجد وينال اسمى المراتب فان الالهة والارواح مساعدة

لهُ واما الجبان العاجز فليس لهُ من ينجده ثم التفت الى الاسكندر وتبسم قائلاً يا اسكندر قد بزغت شموس نصراتك فاذا تملكت العالم ودعيت ملك المسكونة ماذا عساك ان تفعل من الخير لمعلمك قال الاسكندر وقد كلل وجهه الخفر لا يليق بالتلميذ ان يتكلم امام استاذه وامامك ايها الفيلسوف مرشد الملوك ومعلمهم فان ملكت ساو يتك بي فاكون حاميًا المدن والحصون وتكون حافظا لي وحارسي لان الملوك لا يستغنون عن اعوانٍ امناء وهم لا ياتمنون الغرباء بل محبيهم ومعليهم المخلصين و يكونون اصحاب مشورتهم و يشاركونهم في افراحهم واحزانهم

وكان للاسكندر عادةٌ ان يذهب يوميًا الى ارسطوطاليس بجالسهُ من الصباح الى الظهر يتعلم علوم اليونانيين ومن الظهر الى العصر يذهب الى نكتبنافون لياخذ عنهُ علم الفلك ودوران النجوم والسبعة الكواكب وهي كرونوس وارسيس وافروزيطس وارميس وابراداس والشمس والقمر. فمهر في هذا الفن وعرف حركة كل كوكب فراى يومًا امرًا غامضًا اشكل عليهِ ولم يجد لهُ من مفسر فطلب من نكتينافون وقال اوضح لي يامعلي ماعلى هذا الدرع فبينهُ لهُ وكان مكتوبًا عليهِ شيءٌ من اخبار الهتهم. وعن مبداها وعن اصل عبادة الصابئين لها قال اشرح لي عن عظمة الاله الاكبر وعن حال الازليين وكيف جبل الانسان من الارض وكيف كان بدء وجوده قال نكتينافون ليس لك ان تعرف هذا لانك لم تبلغ في العلم الى هذه الدرجة لان الارضي لا يعرف عن الاله الاعظم وانما السموي يعلم ذلك بعناية علوية والهام ارادة الله الذي يسكب فيهِ ما يشاء من الفطنة والحكمة. فهذا ما تسلمناه يا اسكندر من الفلاسفة الذين قبلنا ونحن نقول بقولهم. قال اسكندر وانا خاضع لرايك انما اسالك شيئًا فاخبرني عن موتك متى يكون قال نكتينافون دلتني صناعة النجوم اني اقبل الموت من يد انسان يكون من نسلي فلم يصدق اسكندر هذا الكلام بل سخر بهِ وامسكهُ بيدهِ ورفعهُ

قائلاً انك قد نسيت صناعتك يامعلم اذ ليس لك ولدٌ والقاه على الارض ثم جذبهُ اليهِ ثم دفعهُ دفعة اخري وقال قد شخت لاتدري ما تقول يامعلم. وكان وراءه الدرع فلم يدر اسكندر الا ونكتينافون قد سقط متدهورًا من اعلى السلم الى الارض فوقع على اخر نفس فقال للاسكندر اذهب يا ابني مسرعًا الى والدتك واسالها سرًّا ابن من انت وهي تخبرك فتتاكد ان صناعتي لاتخل مطلقًا. وها انا يا ابني اموت واذهب الى الجحيم حيث الهة اليونانيين مكبلون ومعتقلون. ولما فرغ هذا مات. واما اسكندر ففكر في ما قالهُ معلمهُ وسار الى امهِ. فقالت لهُ ماصنعت ياولدي. فاخبرها بكلما نطق بهِ نكتينافون وقال لها اعلميني الحق فاعترفت بكلما حدث مع نكتينافون من البداءة الى النهاية. وان هذا هو ابوك فلما سمع ذلك بكى بكاءً شديدًا وناح وتاسف على موت ابيهِ نكتينافون. ثم انهُ دفنهُ سرًّا وكتم الامر هو وامهُ. واما فيلبس فلم يدر شيئًا عن ولادة الاسكندر بل كان يظنهُ ابنهُ حقيقةً.

الفصل الثالث

وفي ذلك اليوم جاءَ رسول واخبر فيلبس بانهُ قد ولد لهُ بين خيوله مهرٌ عجيب جدًّا لهُ راس عجل وقرنان واذناه تشبهان اذني العجل و بينهما فسحة طويلة فامر فيلبس الرسول ان ياتيهِ بهِ فلما راهُ عجب جدًّا من حسن خلقتهِ لاسيما راسهِ وامر ان يبنى لهُ بيت و يصنع في وسطهِ قبة من حديد يوضع فيها المهر واوصى بملاحظتهِ والاعتناء بهِ. ورتب لهُ خدامًا يطعمونهُ و يسقونهُ. ولم يكن احد يتجاسر ان يدنو منهُ او يمسكهُ. اما الاسكندر فكان يتردد عليهِ دائمًا و يضع يده عليهِ من الطاقة و يمسكهُ من اذنهِ و يدنو منهُ رويدًا رويدًا الى ان آلف عليهِ وصار العجل عندما يراه يصهل و يلحس يديهِ و ياتي اليهِ وفي احد الايام احضر سرجًا ولجامًا ودخل القبة بعد كسره الباب وسرجه ولجمهُ

وركبهُ وخرج بهِ الى ميدان السباق حيث تجتمع الفرسان بانواع الزينة الملوكية والخيول مرصعة السروج بالجواهر السنية ويتسابقون في الميدان ويلعبون بالرماح وبكل انواع السلاح كعادتهم فلم يدروا الاَّ والاسكندر في وسطهم والملك جالس ينظر اليهم . فلما راوه عجبوا من حسن ركوبهِ على فرس راس العجل ونزلوا عن خيولهم وخروا لهُ ساجدين كما يليق بملك ولما كان يطلق العنان ما كانت الخيل تدرك لهُ اثرًا وقد كلَّ من مسابقتهِ الجميع وكان بذلك المكان عيون ماء غزيرة فامر الملك ان تبنى هناك مدينة وتدعى دامة اي سباق . واذ عجب من منظر الغلام وحسن ركوبه ذلك الحصان وسبقهِ الخيول وهزيمته الفرسان صرخ وقال ياجبال ياتلال ياأودية فليسمع اولو الافهام ان سيف الاسكندر مع قوة المكدونيين سيحطم ويسحق سيوف الارض وانقلب ضاحكًا . وفي ذلك اليوم جمع الملك الف شاب من عمر الاسكندر لطفاء ظرفاء اشداء وسلمهم الاسكندر واوصاهم بحفظهِ واطاعتهِ فيذهبون معهُ حيث شاء وان يتمرنوا على الحرب والكفاح ويتعلموا فنون الصدام والقراع

الفصل الرابع

وكان في جزيرة الاوليمبوس اي قسم المملكة وهي بقعة في ارض ابلون اسوار شامخة ومناجيق ودواليب عالية عليها تصعد ثمانية انفار ويطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ليعلن كل منهم شجاعته فقصد الاسكندر الذهاب الى هذه الجزيرة . فلما اطلع ابوه على امره منعهُ من ذلك وقال لهُ انك ولد حديث السن لم تبلغ الثانية عشرة وهذا الموضع مخيف واهله اشدا في الحروب ومعودون على المقارعة والطعان فلا ادعك ان تذهب لئلا يصيبك نائبة فتلهب قلب ابيك . فاجابهُ اسكندر لابد من الذهاب لاسجد للصنم ابلون . وارى المناجيق واشاهد القايمين عليها . فحينئذٍ اذن لهُ واعطاه ما يحتاج اليهِ

واصحبهُ بالشجعان الموصوفين المختبرين في الحروب والوقائع . واخذ اسكندر من والده اوامر ملوكية وذهب الى الجزيرة ودخلها ونظر كل الصنائع اليونانية والمحال الفسيحة للملاعب المختلفة . وكان هناك اربعة اماكن تمتحن فيها الشجعان ويجربون انفسهم فحضر شابان من ذوي الباس من جزيرة الاندلس اسم احدهما لاوميطوشي واسم الاخر كاليسطانوس وكان الاسكندر قد دخل الى المناجيق مع احد خواصه رجل يقال لهُ بطولوماوس فاخذ الاربعة يتراكضون بين المنجنيقين ويتضاربون بالرماح فطعن اسكندر للاميطوشي برمحهِ رمي وبطلوماوس الآخر الى الارض فبهت شجعان تلك الجزيرة وتعجبوا من ثبات الاسكندر وحربهِ . وكان بينهم فيلسوف يقال لهُ الفيلسوف السماوي يعاين ما جرى فقال ليس العقل والشجاعة بكثرة السنين بل هي قوة كامنة في الشجاع لا امر تعلمهُ الآلهة ثم سال من اين هذا الشاب وماشانهُ فاراه صغير السن وقد شهد موقفًا هائلاً كهذا ويلوح لي انهُ سيفوق شجعان مكدونيا ويسمو عليهم

الفصل الخامس

واما فيلبس الملك فمرض مرضًا شديدًا فسمع اهل الشام بمرضهِ وهم القومانيون والامنيون والاصاكولانيون وغيرهم فانضموا جميعًا الي معسكر واحد حتى صاروا مائة وخمسين الفًا واتوا الى نواحي مكدونيا ليحاربوها وقطعوا الثغور فبلغ الخبر فيلبس فازداد حزنًا ووجعًا ونادى اسكندر قائلا ياولدي الحبيب لقد حان الاوان فاظهر الشجاعة واعلام الباس لنرفع راسنا ونوطد ملكنا فقد دهمتنا الحرب قم الان واجمع العساكر وسر على اعدائنا وحاربهم . فتبسم اسكندر وانطلق وجمع عسكرًا من ثلاثين الف مقاتل وقلدهم السلاح وسار الى لقاء القوم . حتى اذا وصل العسكران واستقرا لبث

حتى غربت الشمس فركبَ وذهب الى ناحية العدو وعسكر قبالتهُ واوقد نارًا عظيمة حول العساكر. واشار فضرب النفير والطبول . فلما سمع القوم صوت الموسيقى مع اختلافها وكثرتها وشاهدوا تلك النيران اندهلوا واحتاروا في امرهم ودهمهم الخوف فلم يدروا ما يفعلون . فهجم عليهم اسكندر وقاتلهم . والتقى بملكهم ابلاميس في المعركة فبطش بهِ وقتلهُ . واسر اكثر شجعانهم . ثم وقف الحرب ذلك النهار ونادى بعسكر العدو وقال يارجال الحرب اذا كنتم من اهل الخبرة بالحروب فلا خبرة لكم بمكر المكدونيين . فها انا قد قتلت ملككم واسرت فرسانكم وكدتم اليوم جميعكم تهلكون . فان اردتم ان تحيوا وتكونوا في ارضكم فضموا بلادكم الى مملكتي فتكونون خاصتي وتحت طاعتي فتستريحون . قالوا ايها الملك اذ كان الله قد قواك واستظهرت وقتلت ملكنا فنحن منذ الان عبيدك . فارسل لنا ملكًا من قبلك يملك علينا واخل سبيلنا ثم حلفوا لهُ اقسامًا مبرمة بانهم لايخرجون عن طاعتهِ فتوّج عليهم ابن اختهِ واسمهُ قسطارون وكان رجلاً قصير القامة عاقلاً حكيمًا واخلى سبيلهم فرجعوا

الفصل السادس

لما سمع نادزخون ملك البغلاغونيا بهجوم القومانيين على مكدونيا دبر حيلة على فيلبس فان نادزخون المذكور لما قدم من محاربة الفرس في بلاد العجم مرَّ بمكدونية ونزل على فيلبس فاضافهُ وصنع لهُ ولعسكره وليمة عظيمة . وعند ارتحالهِ ركب معهُ وشيعهُ . وكان نادزخون قد راى الملكة اوليمبياده فانشغف بحبها ووقعت من قلبهِ موقعًا عظيمًا . فذهب وجمع اثني عشر الف مقاتل وقدم الى مدينة فيلبس ودخلها متظاهرًا بانهُ اتٍ لمعونتهِ وكانت تلك حيلة ليختطف الملكة اوليمبياده . ولما راه الملك فيلبس فرح بهِ جدًا لظنهِ انهُ محبهُ وصديقهُ . وفي اثناء ذلك ورد الخبر الى فيلبس بان

اسكندر قد كسر القوم وعاد ظافرًا فخرج هو والملكة اوليمبياده الى لقائهِ . فلما نظر نادزخون الملكة اوليمبياده خارج المدينة هجم على حين غفلة في ابطالهِ فخطفها وفرَّ هاربًا . فتتبع اثاره فيلبس بقليل من الجند فلم يدرك لهُ اثر . فبلغ اسكندر خطف امهِ فلعبت براسهِ الحمية فنهض فتاثر نادزخون بالفي مقاتل من جنوده وهو مثخن جراحًا وخاض المعامع وفتك بعسكر نادزخون وانقذ امهُ من يدهم واتى بها الى ابيهِ فيلبس وقاد نادزخون امامهُ اسيرًا ذليلاً وعند وصولهِ وجد اباه على اخر نسمة من حياتهِ فقال لهُ قم يا ابي ودس راس عدوك برجلك واذبحهُ . فقام فيلبس وهو ينازع وداس نادزخون واستل سيفًا وذبحهُ وقال ها قد تبدل حزني الى فرح . ثم قال لاسكندر ياولدي يدك على اعناق اعدائك وسيفك يحطم سيوف الارض . وقال هذا وانحلت قواه ومات

الفصل السابع

لما مات فيلبس الملك بكى عليهِ روساء مملكتهِ وعظماؤه وجميع سكان مكدونيا ووضعوه في تابوت على عجلة من ذهب مرصع باللآلي ودفنوه واجتمع روساء مكدونيا واقاموا ابنهُ اسكندر ملكًا عليهم ولقبوه بضابط المسكونة ولما جلس على كرسي الملك امر ان تكتب الرسائل الى كل مدينة وصقع في مكدونيا يامرهم ان يجتمعوا جميعهم امامه حتى اذا وقفوا بحضرته خاطبهم قائلاً ايها الرجال احبائي قد علمتم ان ابي قبل وفاتهِ توجني ملكًا عليكم وسلم اليَّ الملك وهوذا انا ملككم الان . فماذا تقولون وما هو رايكم . فاخذ اول الوزراء بالكلام فقال طال عمرك يا اسكندر ليس استبدادك علينا امرًا غريبًا فانك من زرع ملوك وقد استبشرت اليوم مكدونيا بجلوسك السعيد فتقو واضرب بحد السيف ولا تخف . وقال وزير آخر

لايحسن بالملك ان يستبد برايه بل فليشاور مقدمي الجند وذوي الخبرة والتدبير كما انهٔ يليق بهم ان لايبدوا شيئًا الاَّ بامره . واما رجال الحرب فليكونوا اقويا شجعانًا وفتيانًا مدرعين بالات الحرب . ونهض لنقادوش فقال ايها الملك ان المملكة لاتقوم الا بكثرة الجنود والناس واهل المشورة والملك الذي ليس لهٔ اهل مشورة ولا اولو راي صائب لايلبث حتى يضمحل هو ومملكته . فان استشرت اهل مملكتك ومن هو خبير بالحروب فهو خير لك . وقال انطيوخوس وهو وزير اخريا اسكندر قد يليق بالشيوخ ان لايفارقوك البتة واما الشبان فيخرجون الى الحرب لانهم اقويا طبعًا فهم نشاط الشبوبية . وقال لنديفوس يااسكندر الغريب يليق بنا الان ان نركب بغتة على الملوك المحيطين ببلاد مكدونيا ونحاربهم ونضيق عليهم لانهم اعداؤ نا فلا ندع لهم فرصة لمقاومتنا وقال الوزير الاكبر بطلوماوس ارى ان نغير سلاح العسكر وتكون علامتك يا اسكندر على كل رمح وترس وسيف وخوذة وعلى كل راية سمة لاتتغير ليعلم الجميع علامة جنودك و يعرفوا انك انت ملكهم وقائد الجيش ومقدم العساكر حتى لايجد الاعداء علة فيقولون مات فيلبس وتبدد عسكره فاعجب اسكندر هذه الاربعة الاراء التي قدمها وزراؤه الاربعة . ثم احضروا النحاسين والحدادين وسائر الماهرين بعمل السلاح من الفولاذ فاجتمعوا في مدينة فيلبس وفرض على الصناعيين وهم الف ان يصنعوا خُوَذًا تكون شبه تاج ملك الحيات وان تعمل اتراس من جلد الثعابين والتماسيح الكبار وان تعمل سيوف ورماح وجميع الات الحرب و يكون على الجميع علامة اسكندر . وفرض عليهم ان يصنعوا في كل يوم جهارًا عدة كاملة اي ما يقتضي لنفر من السلاح ما خلا الجنود والابطال المقدمين فرسان الخيول الموشحة بالملابس الذهبية ثم امر ان يصنع اكسية وسلاحًا والات للخيل من سروج ولجم وما اشبه ذلك وان تكون كلها من جلد تماسيح من تحت واما من فوق فمذهبة ومنقشة باللؤلؤ

والجواهر فاكمل الصناعيون ذلك واحكموا على ما امكن من السرعه

الفصل الثامن

ولما سمع داريوس ملك فارس بموت فيلبس ملك مكدونيا كتب رسالة وانفذها وقد قال فيها . من داريوس ملك المسكونة الاله الارضي المشرق في العلم كالشمس ضابط الملوك ومولي الموالى اليكم يااهل مكدونيا . انني سمعت بموت فيلبس فشق عليَّ وسمعت انهٔ ترك لكم خلفًا ولدًا حديث السن ليس اهلاً للملك . لذلك رحمتكم وامرتكم ان ترسلوه الى بلاطي لكي انظره واتفرس بهِ فان كان اهلاً للملك جعلتهٔ خلفًا لابيهِ والا فانني ارسل اليكم قنطركوشي ليملك عليكم من قبلي فانهٔ رجل حكيم خبير وارسلوا لي خراج ارضكم وعسكرًا لمعونتي فاذا ارسلتم الصبي ابن فيلبس فلتكن معهٔ هدايا ملوكية تليق بعظمتي لانهٔ يوجد في بلاطي اربعون فتىً جميعهم اولاد ملوك وهم عندي بمنزلة عبيد اعلموا ذلك والسلام

فلما وصل قنطركوشي بالكتاب المختوم بالختم الذهبي حضر امام بطلوماوس وزير اسكندر فاخذه بطلوماوس ليقدمهٔ الى الاسكندر وفيما هو ذاهب التقاه انطيوخوس مقدم العساكر ومعهُ رمح اسكندر وسيفهُ وخوذتهُ فوضعها قدام قنطركوشي وقال لهٔ اسجد لهذا الرمح فاجاب قنطركوشي ان سجدت لرمح اسكندر فانتم مخالفو داريوس ملكي وخالعو طاعته فاجاب انتيوخس ان لم تسجد الساعة لهذا الرمح تهلك بهذا السيف فسجد للوقت لرمح اسكندر . ثم اوقفوه بحضرة اسكندر فلما نظر اليهِ وهو جالس على كرسي مزين بالذهب ومرصع بالزمرد الاخضر والجواهر . فتقدم الرسول وسجد لهٔ وسلمهٔ كتاب داريوس ووقف متعجبًا من بهاء طلعتهِ وحسن جلوسهِ . وكان

اسكندر لابسًا تاجًا من ياقوت ازرق يلمع ساطعًا مضفورًا بلؤلؤ كشبه ورق الآس وعن يمينهِ وشمالهِ مقدمو العساكر كلهم بسلاحهم وعلى رؤسهم التيجان فتليت رسالة داريوس ولما فهم الاسكندر فحواها غضب غضبًا شديدًا ومن شدة غيظهِ مزقها ورماها الى الارض . ثم التفت الى الرسول وقال لهُ هل لاق بمملككم داريوس ان يعدل عن مخاطبة الراس ويخاطب الرجلين او لعلهُ تخيل ان اهل مكدونيا لا راس لهم . ثم كتب جواب الرسالة وقال من الملك اسكندر ابن فيلبس والملكة اوليمبياده ملك جنود المكدونيين المتشحين بالحلل الموشاة بالذهب والفرسان الموصوفين بالشجاعة الى الملك داريوس . قد فهمت مضمون رسالتك اما ما اشرت اليهِ من ان اذهب واتعبد لك كانني طفل راضع لبن فعلى ما ارى ا اسنانك ستضرس مني كما يضرس اكلو الحصرم . اعلم يا داريوس انني اسكندر ملك المكدونيين فاصبر قليلاً وانا آتيك تعلم من انا حين اقهرك انت وعساكرك واتعبد لك كما زعمت . واما الان فانا ارسلت قنطر نوشي دفعةً آخرى فلن ترى وجههُ واعلم يا داريوس ان المكدونيين ليسوا بغير راس كما تخيل انت والسلام . ثم طوي الرسالة ودفعها الى الرسول واعطاه اسلحة مكدونية وخوذة للحرب والامارة الملوكية المعروفة عند المكدونيين ثم اوصاه قائلاً اذا عقدت حرب المكدونيين مع الفرس فاظهر هذا السلاح عيك لئلا تهلك . واما قنطر كوشي فاخذ الرسالة وتلك الامارات الملوكية من اسكندر وسجد لهُ وانقلب راجعًا الى مملكة الفرس حتى اذا حضر امام داريوس قدم لهُ رسالة اسكندر فامر ان تقرأ . فلما سمع داريوس ما فيها ضحك طويلاً فقال لهُ قنطر كوشي لا ينبغي ايها الملك داريوس ان تحتقر مثل هذه الرسالة من اسكندر وتهزاء ضاحكًا فانني والحق اولى ان يقال ما ابصرت عيني انسانًا نظيره . ولئن كان فتى في سنهِ فانهُ في العقل والفهم والشجاعة يفوق الشيوخ فلم يلتفت الى قول قنطر كوشي ولا صدقهُ بل كتب رسالة اخرى وارسلها مع اخر اسمهُ كلفتواشي

واصحب رسالتهُ بملعبة شبه عجلة لطيفة وفرس خشب ومعها قضيب . وهي من الاشياء التي يلعب بها غلمان اليونانيين زعم ان يركبها اسكندر ويضرب بها بالقضيب لتجري بهِ كانهُ صبي وارسل معها صندوقين فارغين كبيرين وحملين من حب الخردل وكتب في الرسالة يقول . من سلطان الملوك والمقتدر بن داريوس ملك فارس . انني ارسلت اليك هذه الملعبة النفيسة التي تليق بالصبيان نظيرك لكي اذا ضربتها ولعبت بها تدور وتلفت بك وارسلت اليك صندوقين كبيرين وحملين من حب الخردل اما الصندوقان فلكي تملاهما بخراج ارضك وترسلهما عاجلاً وترسل عسكرًا لخدمتي مثلما كان يرسل ابوك . فان قدرت ان تحصى هذين الحملين الخردل فيمكنك ان تحصى جنودي وعساكري وان خالفت امري فانني اقودك مغلولاً بالسلاسل ولا اعفو عنك فيما بعد . فلما مثل الرسول بحضرة اسكندر سجد لهُ ودفع اليهِ الرسالة ووضع امامه الصندوقين وحملي الخردل والعجلة . فهم اسكندر رسالة داريوس وقال الويل لك يا داريوس المتعظم فانك تدعو نفسك الهًا لكنك سوف تسقط شرَّ سقطة كاذل الناس واجهلهم واحقرهم . ثم تناول بيدهِ ثلث حبات من الخردل ومضغها ثم قذفها الى الارض وكسر الصندوقين وكتب جواب الرسالة الى داريوس يقول . من اسكندر ملك الروم ومكدونيا الى داريوس الفارسي ان هكذا قد صبرت لي صبرًا عظيماً وقد ارسلت لي اللعبة التي تليق بالصبيان كما تقول فقد اخطات واعلم انهُ كما ان هذه العجلة تدور وتجري قدامي انا مزمع ان اطوف اربعة اقطار الارض واملكها وادعى ضابط المسكونة واني سآتي اليك بعساكري واحطمك وابيد اسمك . واما حب الخردل الذي مضغتهُ وقذفتهُ فهكذا انا مزمع ان اقهر عسكرك بقوة اله السماء والارض واذيقهُ الموت . واما الصندوقان اللذان بعثت بهما اليَّ فاعلم انني كما كسرتهما مزمع ان اخرب مدنك وحصونك وقلاعك واهدمها الى الارض لانها خالية من الشجاعة والحزم

فحسبك بلاد المشرق تتسلط عليها . واما ارض المغرب فتحول عنها وارفع يدك عنها ثم طوى الرسالة الى كلفيتوشى واعطاه هدايا وتحفًا ملوكية وكمية من حب الفلفل وقال لهُ قد بعث اليَّ مولاك بالخردل فمضغتهُ وكذلك سافعل بجيشكم واما انا فابعث اليهِ بالفلفل اشارة الى عساكري ليعلم من شدة حراقتهِ للآنم شدة بطشي و باسي وصعوبة ماخذي . ثم صرف الرسول فانطلق . وفي رواية اخرى ان داريوس كان قدرتب على فيلبس ابي اسكندر جزية مقدارها الف بيضة ذهب . فلما بلغهُ وفاة فيلبس ارسل فطلب الجزية من ولده اسكندر فابى اداءها وارسل اليهِ يقول ان الطير الذي كان يبيض تلك البيضات من الذهب قد ذهب وطار الى عالم اخر فغضب داريوس وارسل ثانية سفيرًا الاسكندر و بعث اليهِ كرة وعصًا وكيسًا ضمنهُ بزر وقصد بالكرة والعصا الاستهزاء باسكندر نظرًا لصغر سنهِ واشار بالبزر الى كثرة جيوش الفرس . فاخذ الاسكندر العصاء بيده وقال هذه العصا هي عبارة عن قوتي التي بها اضرب كرة مملكتهم مشيرًا الى الكرة التي ارسلها اليهِ داريوس . ثم امر باحضار طير فاطعمهُ تلك البزور وقال لسفير داريوس ان اكل الطير لهذه البزور عبارة عن ابتلاع عساكري جيوش سيدك . ثم اعطاه حنظلة وقال لهُ اعطِ هذه لمولاك فمتى اكلها وشعر بمرارتها يعلم مرارة نصيبهِ وما سيلقاه من يدي ولَعل هذه الرواية اصح من الاولى والله اعلم

وامر ان تجتمع العساكر كلها الى مروج فيلبس فاجتمعت وامر باحصائها فكانت خمس كرات من المقاتلين الشجعان . فترك ثلثماية الف تحرس ارض مكدونيا واخذ مائتي الف فقط وارتحل بهم من مكدونيا واتى الى ارض تسالونيكي اي سنانيك وكان اسم ملكها ارشودنيشي فلما سمع ان اسكندر قدم لمحاربتهِ جزع ولم يخرج لقتالهِ بل ارسل اليهِ رسولاً اصحبهُ بذهب وافر وخيل ملوكية منتخبة لخدمتهِ وارسل معهُ ولده واسمهُ برلي كراتوشي ومعهُ رسالة يقول فيها هكذا من ارشودنيشي ملك تسالونيكي الى اسكندر العزيز

النبيل ملك مكدونية انني ارسلت هدايا تليق بجلالك وانا خاضع لامرك وخراج ارضي لخدمتك على حسب قوتي اذ قد سمعنا ان الاله الاعظم قد ايدك وانت مزمع ان تسود على المسكونة وها انا وعساكري خاضعون لك وقد ارسلت اليك ابني ووحيدي كعبد للملك وان امرتني ايضًا ان اتي واسجد لعظمتك فلست امتنع من ذلك فاسالك ان تصنع رحمة وتتركني استريح في ارضي لانني شيخ . فقبل اسكندر رسالة ملك تسالونيكي وقبل ولده ثم قال لهُ لاجل طاعة والدك تكون من الان اخي ثم كتب رسالة الى الملك تسالونيكي يقول فيها . من اسكندر ملك مكدونية الى ارشودنيشي . اعلم اننا شكرنا فعلك هذا ليس لاجل الهدايا التي ارسلتها مع ولدك بل لاجل طاعتك ومحبتك لان الراس الخاضع لا يقطع ابدًا . واما ولدك فيكون عندنا واما انت فاثبت في كرسيك ومملكتك وارسل لنا عشرة الاف مقاتل وارسل لنا كل عام ثلاثين قنطارًا من الذهب خراج ارضك فقط وقد زدتك ارض اثينا

الفصل التاسع

ثم ارتحل اسكندر من تسالونيكي واتى الى ارض اثينا وعسكر مقابل المدينة . وكانت اثينا مدينة عظيمة كثيرة السكان مزدانة بكل زخرف وجمال وكان لها شهرة عظيمة في كل الاقطار وكان فيها اثنا عشر فيلسوفًا حكماء منطقيون كانوا ضابطين المدينة وموسسين مدارسها ومتفرقين في جميع شوارعها للقضاء واجراء الاحكام بين اهاليها واصلاح ما يقع من الفتن بين اليونانيين وغيرهم حارزين جميع العلوم المعروفة وقتئذٍ . فلما سمع هولاء عن اسكندر انهُ اتى لمحاربتهم وانهُ جيَّش على حدود بلدهم اجتمعوا في هيكل ابلون الههم العظيم وتشاوروا في ما يصنعون فبعد محاورات كثيرة اتفقوا على عدم

الطاعة والتسليم وان يحاربوا وكان بينهم حكيمٌ اسمهُ صوفينافاشار عليهم ان قال ياقوم لاتحاربوا اسكدر فقد سمعنا بما قهر من الممالك العظيمة وانهُ اخرب ارض القومانيين وغيرهم وقتل ملكهم ادزخون وقد عفا عن ملك تسالونيكي لطاعتهِ . فاجابهُ فيلسوف اخر وقال انهُ منذ تاسيس مدينة اثينا لم تتعبد لملك غريب ولا افتتحها فاتح فاتاها ملك الفرس وحاصرها الا انهُ لم ياخذها بل انقلب ناكصاً . واتاها ازدكشي الفارسى وهاجمها بقوة عظيمة وحاصرها بعساكر لاتحصى ولم يقدر عليها بل انكسر مقهوراً وغرق في نهر مكدونيا فعليهِ لاينبغي ان نذل لابن فيلبس . فاجاب ديوجانيس الفيلسوف اعظم الفلاسفة وقال ذهبت منذ ثلاث سنين الى مشهد اوليمبياده ورايت اسكندر قد اتى الى الملعب وكان يضرب بمزراقهِ ليمتحن نصيبهُ وقتل اربعة شجعان بمزراق واحد وطعنة واحدة فعندها نادوا باسمهِ ودعوه اول الشجعان الشاكي السلاح وكان حاضراً اذ ذاك فيلسوف اخر من مملكة اوليمبياده فشهد وقال يلوح لي يااسكندر انك مزمع ان تفتح مدينتنا وتصير ملكاً عظيماً شديداً تتملك افاق الارض . فاشير عليكم يا اهل اثينا ان لاتقاموه ولا تحاربوه لانهُ داهية دهاء ومجرب في الحرب والقتال ومع حداثة سنهِ قهر اكثر الممالك ومعهُ عسكر لايحصى فاسمعوا مني وقوموا نخرج للقائهِ فهو عاقل وحكيم لعلهُ يرحمنا ويدعنا مرتاحين في ارضنا ولا يوقع بنا البلاء بل يذهب من عندنا الى محاربة رومية . فلما سمع رجال اثينا كلام الفيلسوف انكروه عليهِ وبكتوه وسخروا بهِ فهرب منهم وخرج سراً من المدينة الى ان اتى الى عسكر اسكندر واجتمع بهِ وعرفهُ بجميع مشورات اهل اثينا . فلما سمع اسكندر كلام الحكيم استشاط غضباً وامر العساكر كلها بالتاهب ونهض لمحاربة اثينا . ثم ارسل رسولاً للقوم يامرهم بالخضوع وكان الرسول صاحب مشورة اسمهُ قنطاسو لايحسن التكلم باللغة اليونانية فاحضر اهل اثينا ترجماناً من المكدونيين لمخاطبة رسول اسكندر وسالوه قائلين ما هو امر ملكك فاجابهم قد امر

سيدي بان تطيعوه وتعطوه خراج ارضكم وعسكراً لمعونتهِ وتفتحوا ابواب المدينة وان لم تذعنوا اخرب ارضكم ومدينتكم وتموتون بحد سيف الملك والمكدونيين . فلما سمع اهل اثينا قولهُ هزأوا بهِ ضاحكين وكتبوا رسالة الى اسكندر موٴداها لا يليق بمدينة اثينا ان تطيعك يا اسكندر ولا انت من ملوك اثينا فلا تطمع في ذلك لان ملوكاً كثيرين اتوا من قبلك لمحاربتها ولم تخضع لهم اذ انها مملوءة من الحكماء والفلاسفة وحسبك ان تحكم مكدونيا فارحل من عندنا والا فضحناك على رؤوس الملاء وقطعوا راس الترجمان امام رسول اسكندر . فلما بلغ اسكندر ذلك امر العساكر ان تنهض للحرب فاما شجعان القومانيين اصحاب اسكندر فكانوا يرمون اهل اثينا بنشاب كان يتساقط في المدينة كالمطر فلم يستطع الاثينيون ان يصعدوا على حائط السور ولا يظهروا البتة فضجروا وفتحوا باب المدينة بغتة وخرج منهم لمحاربة اسكندر من جهة نحو عشرة الاف ومن ناحية اخرى غيرهم وقتلوا من عسكر المكدونيين نحو خمسمائة رجل وصنعوا مكيدة ان رموا ناراً في وسط عسكر اسكندر وحرقوا كثيراً من رجالهِ وكاد يحترق اسكندر ايضاً . وعندها دار اسكندر حول العسكر كله وشدده وشجع العساكر وقوى الحراس وذهب الى خيمتهِ وجمع وجوه قومه اصحاب سره ومشورته وقال ما نصنع بالقوم فقد يهلكونا بحيلهم فاجابهُ ديوجانيس الفيلسوف الذي سبق القول عنهُ انهُ حضر من اثينا وقال لاسكندر ان مدينة اثينا لن توٴخذ بالسيف لكثرة ساكنيها ووفرة ابطالها فاصنع مكيدة فيخرجون خارج البلد كلهم حتى اذا كان ذلك نرجع عليهم بخيلنا وسلاحنا ونهلكهم ونملك المدينة فاستصوب اسكندر مشورة الحكيم ونادى في العساكر ان يرحلوا ويتركوا في الخيام مائة ثور وعشرة الاف راس غنم . وكتب رسالة وتركها في مرقده موداها يارجال اثينا انني لم اعرف قوة آلهتكم انها عظيمه لانني اتيت بكل قوتي لحربكم واذ كنتم اقويا اشداء تركت عند مرقدي بقراً وغنماً تاخذونها وتنحرونها ضحايا لآلهتكم

لعلهم يسامحونا بما اذنبنا وابعد اسكندر بعسكره من البلد نحو اثني عشر ميلاً
فخرج اهل اثينا باسرهم الى خيام الاسكندر فوجدوا الغنم والبقر ورسالة الاسكندر فقرأُوها واستهزأُوا قائلين من خوفك هربت يا ابن فيلبس . ثم ان خمسمائة فارس منهم ثاروا اسكندر واخذوا يطاردونهُ فقال لهم احد المقاتلين اني في هذه الليلة رايت في حلم ان هيكل ابلون قد وقع وابراج المدينة تساقطت والابواب الرخامية تكسرت ودخل اسكندر الى المدينة راكباً جواده وان المدينة امتلأَت سنبلاً اخضر ويابساً وان المكدونيين اصحاب اسكندر يحصدون السنبل الاخضر واليابس فاسالكم ايها القوم ان ننقلب الى مدينتنا ونقفل ابوابنا ونستريح فلم يصغوا لقولهِ بل انطلقوا بخيولهم طالبين اسكندر . وكان اسكندر متخفياً في غابة كثيفة الاشجار يتوقع خروجهم فلم يشعر اهل اثينا الا وعسكر اسكندر قد صار قدامهم وخلفهم ونفخت الابواق وضربت الطبول وارتفعت الاصوات حتى سمعت المدينة واستعرت بين الفريقين نار الحرب وكثر الضجيج والعويل فلما احس اهل اثينا بمكيدة اسكندر خافوا وانحلت قواهم ولم يدروا ما يصنعون فقالوا الويل لنا ما الذي دهمنا وكيف النجاة . فلم يسمع الا نحيب وبكاء وعويل هذا وسيف المكدونيين يضرب اعناق اهل اثينا ويذبحهم ذبح الغنم فيتجندلون على الارض قطعاناً مقطعة لا عدد لها فغاص الفريقان في الدماء الجارية كالينابيع المتدفقة ودخل العسكر مدينة اثينا وهناك العجب فما كنت تسمع الا رجالاً تصرخ ونساء تخرج من بيوتهنَّ مع اولادهنَّ بالبكاء والنوح وقد ذهبوا جميعاً طعام السيوف وامتلأَت شوارع المدينة بالدماء وكان اسكندر يدور في الوسط بجواده ويطلب من اصحابهِ ان يكفوا فابوا الا مزيد الفتك . واما ما تبقى من النساء والاولاد فانطرحوا امام اسكندر عراة يتضرعون اليهِ بنحيب وبكاء لكي يرحمهم ولم يقدر اسكندر ان يمنع عساكره من الذبح . ثم امر ان توقد نارٌ في البلد فاحترقت البيوت . فلما راى اصحابه النار كفوا عن ذبحهم وعملت النار حتى افنت هيكل

ابلون العظيم وكان مزيناً بكل زينة وصناعة يونانية ولم يكن مثلهُ في الارض كلها وحرقت الهة اليونانيين ايضاً . ثم قال وقد حزن على جنون اهل اثينا وافتخارهم الكاذب لقد تخضبت سيوف المكدونيين بدمائهم وليس لنا ذنب في ذلك . واما من تبقى فباتوا ينوحون مولولين ونادبين . اما ملوك الجزائر الذين كانوا في ما يلي اثينا من جهة البحر فصعدوا الى الجبال الشامخة واستولى عليهم خوفٌ عظيمٌ حتى ان اهل جزيرة قريطش والمغاربة والبندقية واهل صقيلة والاكودوميين واهل موريا لما سمعوا بخراب اثينا وخراب هيكلها بكوا بكاءً شديداً وناحوا عليها نوحاً عظيماً واستولى عليهم الخوف ثم ارتحل اسكندر من هناك وسار قاصداً المدينة العظيمة في عسكر عظيم نحو اربعماية الف مقاتل

الفصل العاشر

وبينما كان اسكندر سائراً التقاهُ كثيرٌ من الملوك اولي الباس والاقتدار منهم ملك ترسيس وملك كيمودينيا وملك صقلية وغيرها وملك تريفوليس وقدموا لهُ هدايا وتحفاً نفيسة وقدموا لهُ عساكر لمعونتهِ واتوا بخراج اراضيهم عن اثنتي عشرة سنة وعزموا على ترك ممالكهم لكي ينطلقوا معهُ فقبل هداياهم وامنهم وامرهم ان يرسلوا لهُ في كل سنة خراج اراضيهم وعسكراً لمعونتهِ كل واحد على قدر طاقتهِ . ثم ارتحل من هناك الى ان قرب من رومية . وكان لما سمع اهل رومية بخراب اثينا ارتاعوا جداً ووقع عليهم الخوف والرعب وارتبكوا في امرهم فاجمع راي بعضهم على الخضوع لاسكندر وخالفهم آخرون واطبق الراي اخيراً على ان يذهبوا الى هيكلهم ليستشيروا آلهتهم لعلهم يرونهم في المنام ما يصنعون فذهبوا باسرهم الى الصنم ليستشيروهُ . وزعم انهُ في

تلك الليلة ظهر لهم وقال لهم يا اهل رومية ذوي العظمة لاتجزعوا من اسكندر لانهُ ابني البكر فاذهبوا باسركم الى لقائهِ بغاية الاكرام وادعوهُ ضابط الارض

الفصل الحادي عشر

فخرج اهل رومية باسرهم من عظماء وشرفاء وروساء واغنياء وفقراء الى لقاء اسكندر واستقبلوه باحتفال فخرج ماية وخمسون الفًا من الفرسان متسربلين بالملابس المذهبة وخيولهم مملاة بالذهب والفضة وبجميع انواع الزينة بما يذهل النظر وقد قصر الواصفون مما كان لاسكندر الاستقبال في رومية . وخرج في مقدمتهم عشرة آلاف من الروساء والعظماء راكبين على الخيول المرخنة وفي ايديهم اغصان الغار مجدولة الذهب والفضة وكان يتبعهم الفان من الشيوخ الموقرين ذوي الراي والمشورة راكبين خيولاً ومعهم الكهنة وبايديهم مصابيح الذهب والفضة موقدة مزينة واتوا بجواد عليهِ جلد كركند مرصع بالجواهر وكان سرجه قطعة واحدة من حجر الياقوت الازرق وتلك صناعة اهل رومية المذهلة العقول . وقد فقدت هذه الصناعة الان واخرجوا معهم اسلحة بريامو الجبار اعني سيفهُ ورمحهُ وقوسهُ ونشابهُ التي كان يقاتل بها في حرب طروادة واخرجوا معهم ترس ترقيانوس ملك رومية العظمى فبهذه الكرامة والتعظيم والتبجيل خرجوا للقائهِ . فلما راهم فرح فرحًا عظيماً وامر بانتظام عسكر المكدونيين امامهُ صفوفًا وان يركب روساء الجنود المتوشحون بالحلل الذهبية اولاً . واما اسكندر فركب على فرسهِ العجيب ذي القرون ولبس تاج المملكة كلاو بطرا وفيهِ اثنا عشر حجرًا كريمًا ثم اخرج مائةً من الخيل وعليها الات الموسيقى من طبول وزمور

ونفير وجعلهم صفين حتى اذا سكت الصف الواحد يشتغل الاخر بالحان تدهش السامعين فلما وصل اهل رومية سجدوا لهُ وهتفوا بصوت واحد طال عمرك يا اسكندر ابن الملك فيلبس ملك الارض كلها . ثم اتت بنات رومية ذوات الحسن والجمال بالزينة الفاخرة يهنئنَ اسكندر ابن الملك فيلبس وسجدنَ لهُ ومدحنهُ . ثم اتى كاهن رومية في اصحابهِ بمصابيح تتقد وبخور زكي الرائحة فسجدوا لهُ . ثم بخروه وهتفوا طال عمرك ياسيد الارض كلها . ثم دخلوا رومية معًا وانطلقوا في الحال الى هيكل ابلون صنمهم العظيم فدخل اسكندر وسجد فاعطاه الكاهن هدية ملوكية من هيكل ابلون كانوا يهادون بها الملوك القدماء لبانًا ومرًّا وبخور الهتهم . ثم اخذ الكاهن قرطاسًا ودفعه للاسكندر فناولهُ اسكندر لديوجانيس الفيلسوف ليقراه واذا فيهِ . بعد نهاية الالف من التاريخ يخرج الحمل الوديع ذو القرن الواحد و يسحق قوة الانمار والسباع الثائرين بعضهم على بعض بالعداوة وسفك الدماء الذين قد تعاظموا جدًّا . حتى اذا سحقهم ذهب الى ارض المشرق و يلتقي بالنمر ذي القرون العظيمة الممتد احدها على ارض المغرب والاخر على حدود الشمال فيبطش بهِ الحمل و يضربهُ في قلبهِ فيقتلهُ وترتاح منهُ ملوك المشرق وارض فينيقية وتلك الجوانب . ثم يكسر سيوف فارس و يعود الى مدينة رومية العظمى وحينئذٍ يستحق ان يدعى ملك المسكونة. فلما قراها ديوجانيس قال مفسرًا للاسكندر ان هذا يطابق روءيا دانيال النبي لانهُ يوضح ان ملوك المشرق هم الانمار وملوك المغرب هم السباع واما الانمار ذات القرون الممتدة فهي ملوك المشرق وارض الهند واما الكبش ذو القرن الواحد فهو ارض مكدونية لان اهلها على ما يظهر لي متفقون مع ملكهم كما يذكر عنهم في النبوة ان سيوفهم مسلولة وآلة حربهم معدة وانهم لابد ان يحاصروا رومية ويعسكروا حولها والقرن الواحد هو انت يا اسكندر فلما سمع اسكندر هذا القول هزّ راسه وقال ما اغرب هذا ان الاقوياء سقطوا والضعفاء تمنطقوا بالقوة

فعند ذلك اجتمعت عساكر المكدونيين في رومية مع روساء رومية وعظمائها وأتى ملوك المشرق من البلدان البعيدة وسجدوا للاسكندر فامنهم وامر ان يرسلوا لهُ خراج ارضهم عن اثنتي عشرة سنة ثم اطلقهم وكان مع اسكندر رجل عظيم خبير بالحروب وكان من المتقدمين عنده والمقربين اليهِ وهو الذي جعل اسكندر ملكًا على رومية وجعل ملوك المغرب تؤدي لهُ الخراج وتطيعهُ وتسمع لهُ . وجمع اسكندر شيئًا كثيرًا من الذهب والفضة من تلك الممالك ووطئ اقصى ارض المشرق وانشا حروبًا كثيرة مع سلاطين وملوك وقبائل وقتل منهم كثيرًا واخرب اراضيهم وهدم مدنهم حتى وصل الى نهر الاوقيانوس المحيط بالارض

الفصل الثاني عشر

ومن هناك عاد راجعًا الى جزيرة الاندلس وامر العسكر بان ياخذ راحة ثم امر الملوك والمتقدمين الذين في تلك النواحي ان يصنعوا لهُ اثنتي عشرة الف سفينة كبيرة وان يركب في كل سفينة الف مقاتل وامر الفرسان ان يذهبوا الى المغاربة في البر ويلاقوه عاجلاً وارسل معهم فيلوبيوس وبطلوماوس وزيريهِ واوصاهم ان دخلتم ارض مصر اجمعوا من كل مدينة و بلد خراج الممالك ولا تظلموا احدًا وعليهِ سار كل في سبيله

الفصل الثالث عشر

ثم امر بانزال السفن الى البحر وجعل انتياخس وزيره رئيسًا على ثلاث الاف سفينة وفيرندوس وزيره الاخر على ثلاثة الاف آخرى . وعلى ثلث الاف

سفينة آخرى جعل سلفكيوس المقدم على الفرسان والجنود وجعلهُ الرئيس الاعظم . وفي ثلاث الاف سفينة اخرى نزل بذاتهِ . ثم وجه كلاً الى جهةٍ اما هو فلم يزل يسير الى المشرق و بعد اربعين يوم قطعوا البحر المتوسط فوصل اسكندر اولاً في سفنهِ كلها الى نهر النيل فامر ان تبنى هناك مدينة وسماها الاسكندرية نسبةً الى اسمهِ . ووصل سلفكوسي الى ارض كليمكا وهي قرمان وابتنى هناك مدينة حصينة ودعاها سلوكية ووصل الى انطاكية ووصل ايضًا فيزايديوس في سفنهِ الى بحر اسكندر وابتنى هناك مدينة وسماها البظنطية تدعى الان القسطنطينية . هذا وكان اسكندر مغتمًا بسبب السفن والوزراء اذ لم يكن وقع لهم بعد على خبر فبعد ايام قليلة وفد ثلاثة رسل من قبل وزرائهِ الثلاثة فلما قرا رسائلهم فرح جدًا ولا سيما لما شيدوا من المدن . ثم وفدوا بعد مدة باجمعهم الى عسكر اسكندر وابتنوا هناك مدينة اخرى ودعوها ثلاث قلاع . ثم مكث هناك اياما حتى اجتمعت الفرسان الذين ارسلهم برًّا فحضروا وحضر الوزيران فيلونيوس و بطلوماوس واخبروه بالحروب والمعارك التي ابدوها في مسيرهم في بلاد المغاربة والحبشة والديلم وغيرهم من القبائل واخبروه باسماء الملوك الذين كانوا متسلطين على تلك البلدان وكانوا قد قبضوا على اكثرهم واحضروهم قدام اسكندر مقيدين فاعطاهم الامان وحلفهم من الوثاقات وحلفوا لهُ بالطاعة . ثم امرهم بان يحملوا لهُ خراج اراضيهم وعسكرًا لمعونتهِ متسلحًا كل واحد بحسب طاقتهِ ثم صرفهم وارتحل الى نواحي اسيا وابتنى هناك مدينة ودعاها طرابلس . ثم ارتحل من هناك واتى الى نواحي افريقية مجتازًا البلاد حتى اتى مدينة طروادة التي خربت من شدة حروب اليونانيين بسبب امراة اسمها هيلانة ابنة الملك ميلانافون ملك ليكيمودونا وكان براموس ملك افريقية في زمان خراب طروادة وكان لهذا الملك برياموس ولد اسمهُ باريس خطف هيلانة واتى بها الى مدينة طروادة فشق على اهل ليكيمودونا خطف ابنة ملكهم ميلانافون فجيش هذا الملك

وجمع عساكر ارض قيلقيا جيشًا عظيمًا وما برحت الحروب متصلة بين الفريقين الى ان خربت طروادة . ومن قرأ تاريخ هذه المدينة والحروب التي جرت فيها عرف كم من الجبابرة والشجعان والابطال المشاهير قتلوا بحد السيف لاجل هيلانة وكان عدد الذين قتلوا في تلك الحروب الف وتسعمائة الف . ولنرجع الى ما كنا في صدده من تاريخ اسكندر فاتى اهل طروادة وسجدوا لهُ واحضروا لهُ هدايا كثيرة واسلحة ملوكية واتوه بترس اشيلا الجبار وكانت منقوشة عليهِ صورتهُ نقشًا بديعًا . وكان هذا الترس متموج الالوان كجناح الطاووس وكانت عليهِ صورة انسان من الحجارة الكريمة على صناعة غريبة . فلما راه اسكندر انذهل منهُ . ثم اخرجوا اليهِ وشاح الملكة افريسيادة امراة اشيلا وكان كلهُ موشى بذهب ابريز مرصعًا بحجارة ثمينة جدًا ولما خربت طروادة قتل اشيلا هذا بسيف اليونانيين فقتلت نفسها على قبرهِ فاثنى عليها اسكندر جدًا لانها حفظت حبها لبعلها . ثم اخرجوا لاسكندر كتاب اميروس الفيلسوف الذي ذكر خراب طروادة كما حدث من ابتداء الحرب الى انتهائها فقرأه فاطلع على عدد المقاتلين والشجعان الذين قتلوا حينئذٍ

الفصل الرابع عشر

ثم ارتحل اسكندر في جيشهِ وذهب قاصدًا ارض فارس ليقاتل داريوس ملك الفرس وسياتي ذكر ذلك . فلما سمع داريوس بذلك ارسل الى اسكندر رسولاً ثالثًا ومعهُ رسالة يقول فيها . من داريوس ملك الفرس الاله الارضي الى اسكندر اعلم انني كنت مزمعًا ان ارسل لك جنودي لاحضرك امامي مقيدًا مغلولاً لانك خالفت عهود ابيك ووطئت مراسيمي

ولم ترسل لي خراج ارضك ولا عسكرًا لخدمتي بل تمردت فالان بمجال وصول كتابنا اليك تحضر الى بلاطي من غير مخالفة وان عصيت مرسومي هذا احضرك قسرًا في حالة الذل والهوان انت وجماعتك معًا . فقرأ الاسكندر الرسالة وكتب الجواب قائلاً . ياداريوس اني وافد اليك سريعًا بقوة اله السماوات والارض ومعي عساكري . واما زعمك بانك تحضرني انا والمكدونيين مغلولين فسوف ناتيك عن قريب لكي احطمك واقتلك وابيد ذكرك من الارض واعلم ان ايامك السعيدة قد انقلبت مذ الان الى احزان لانك ظننت اننا جبناء فنحن كحجر الماس لا يوءثر فيهِ سيف ولا رمح فها انا وافد اليك لاقهرك واستولي على مملكة فارس فلست اتجاسر ان ادعو الهًا كما تدعي انت المتجبر بالهتك الصم العمي وهل تظن ان اهل فارس يقفون امام المكدونيين في الحرب والقتال وهم بازآئهم كالنساء وعسكري كالاسود في القتال فها انا قد انذرتك فتحذر ولا تفر او تختبي لئلا تهلك مبادًا . فلما قرأ داريوس رسالة اسكندر غضب جدًا وسال الرسول قائلاً اخبرني كم عمر اسكندر وكم معهُ من المقاتلين فقال هو ابن ثلاثين سنة وهو على جانب عظيم من الجمال والشجاعة في الحروب وفير السخاء كثير العطاء ومعهُ خمسمائة الف مقاتل شجعان . فاجابهُ داريوس لا انكر ان هذه امارات ملوكية عظيمة ان كانت كما زعمتم لكنني لا اظنهُ يتجاسر على الاتيان الى حدودنا ثم امر داريوس ان تجتمع عساكر الفرس كافةً في موضع واحد فاجتمعت باسرها وحينئذٍ كتب رسالة الى ارض فلسطين وبيت المقدس ومصر وقليقيا قائلاً لا تجزعوا من اسكندر لانني مزمع ان اقتلهُ لاعتقكم من جوره . واما اسكندر فانهُ اتى بعساكره الى بيت المقدس ارض يهوذا حيث كان اليهود مجتمعين وكان لهم وقتئذٍ ملوك مكرمون في بيت المقدس من نسل ابراهيم عليهِ السلام وكانوا يعبدون الله عز وجل . فارسل لهم اسكندر رسولاً ومعهُ رسالة يقول فيها . لكم اقول يارؤساء اليهود القاطنين اورشليم العابدين

الاله الاعظم السلام لكم افرحوا ولا تجزعوا انتم العابدون لهذا الاله فلما قراوا رسالة اسكندر ارسلوا اليهِ واحداً منهم وكان رجلاً فصيحاً بالنيابة عنهم فاجاب اسكندر اسمع مني ما انا مخبرك بهِ . اعلم اننا خرجنا من البحر الاحمر لم نخف من ملوك بقوة الهنا الضابط الكل فلما عصينا الهنا اسلمنا الى يد بختنصر ملك فارس وبقينا زماناً طويلاً تحت طاعتهِ حتى الان وان كنا رجعنا الى مواضعنا الا اننا تحت يده وليس نحن فقط بل جميع المسكونة طائعة لهُ . فان اطعناك يا اسكندر العزيز خشينا من داريوس لانهُ يرسل فيخرب اورشليم ويبيد اهل فلسطين فان باطشت داريوس واهلكتهُ ورجعت منصوراً الى اورشليم نكون بطاعتك . فلما فهم اسكندر مقالة اليهود في اورشليم اجابهم فهمت جميع ما بعثتم بهم اليَّ لكن لا يليق بكم انتم الذين تعبدون الاله الحي ان يسودكم رجل كافر وحش فاوصيكم منذ الان وصاعداً ان لا تطيعوه البتة ولا ترسلوا لهُ خراجاً ولا هدايا ولا بد لي ان احضر واسجد للاله الحي في ما بعد واقصد حرب داريوس واعلموا هذا ايضاً انني سوف اعتقكم عاجلاً من عبوديتهِ ثم ارتحل اسكندر في جيشهِ كلهِ وقصد مدينة اورشليم للسجود فلما سمع رئيس الكهنة بحضور اسكندر جمع اليهود الساكنين في اورشليم كافةً واشار عليهم قائلاً ان الاصلح بنا يا قوم ان نقبل اسكندر ليدخل اورشليم لاني في هذه الليلة رايت حلماً واذا بدانيال النبي يقول لي ان هذا الملك اسكندر الاتي اليكم مزمع ان يعتقكم من يد الفرس . فارتضى اليهود جميعهم بهذا الكلام وفي تلك الليلة راى اسكندر في حلمهِ ارميا النبي قائلاً ادخل يا اسكندر اورشليم واسجد لاله السماء والارض رب الجنود الضابط الكل واذا سجدت لهُ فاذهب حينئذٍ الى داريوس وقاتلهُ فتبيده وتهلكهُ وتدعى ملك فارس فلما انتبه اسكندر قص الرؤياء على روساء دولتهِ ثم ارتحل في عسكره قاصداً زيارة اورشليم . فلما قرب من المدينة امر رئيس الكهنة جميع اليهود ان يخرجوا لملاقاة اسكندر واما رئيس الكهنة فلبس حلة

الكهنوت جميعها واخذ معهُ الف رجل من سبط لاوي متوشحين بالحلل الكهنوتية واخذ معهُ الف رجل اخرين وفي ايديهم مصابيح تتوقد وغيرهم بمجامر البخور والقناديل الى غير ذلك وهكذا دخل اسكندر مدينة اورشليم وسجد في الهيكل المقدس ثم حدثهُ بامر سليمان الحكيم وانهُ هو الذي ابتنى الهيكل . ثم سالهُ اسكندر قائلاً اي اله تعبدون اجابهُ اننا نعبد الهاً واحداً وبهِ نعترف وهو الذي صنع السما والارض وكل العناصر اله الالهة ورب الارباب ليس الهٌ قبلهُ ولا بعده وهو ينظر ولا ينظره احد . فلما سمع اسكندر اضطرب من ذلك وتعجب قائلاً قد علمت انكم انتم للاله الحي وانا قد آمنت بهِ واعترفت بهِ واسجد لهُ وامجده واسبحهُ واهبكم الخراج والاموال التي ازمعت ان آخذها منكم كباقي المدن والبلدان وابلون الهكم هذا مذ الان الهي فرحمتهُ ومحبتهُ تكون معنا واما الكاهن فاتى بذهب كثير لاسكندر فلم يقبل منهُ اسكندر شيئاً بل قال فلتكن هذه هدية للاله الحي وامر بحمل تلك الهدايا الى الهيكل

الفصل الخامس عشر

ثم ارتحل اسكندر في عساكره من بيت المقدس وقصد مدينة مصر . فاما اهل مصر فكان قد اوصاهم ملكهم نكتيبانوس الفيلسوف الذي سبق القول عنهُ قائلاً انني لا استطيع ان احارب داريوس الفارسي فهوذا انا ذاهب من عندكم شيخاً وسيوافيكم ابني اسكندر شاباً فهذا يقاتل داريوس ويعتقكم من تمرده وها تمثالي عندكم وقد وضعت تاجي على راس الصورة فمن اتى بعدي الى تحت تمثالي ووقف هناك ووقع التاج على راسهِ فذاك هو اسكندر . اما المصريون فبعد مدة نسوا قول ملكهم وخالفوا وصيتهُ وعصوا

وتمردوا وهموا ان يحاربوا اسكندر وكانوا في اختلاف فرام قوم منهم الحرب واباها اخرون فقوي راي المبتغين الحرب وعزموا على محاربة اسكندر ولكنهم لم يجترأوا . فلما وصل اسكندر وحاط بالمدينة وعقد الحرب بينهم فمن شدة حرارة الشمس استمروا الى اليوم الثاني . وكان بقرب المدينة غدير ماء بارد جداً فنزل اسكندر ليسبح في ذلك الغدير و يستبرد فلما صادفته برودة الماء اعتراه وجع في اعصابهِ ومرض اليم . فخاف عسكره خوفاً شديداً واذ سمع بمرضهِ المصريون في داخل المدينة عزموا على حيلة يهلكونهُ بها واذ خابوا من قصدهم كتبوا رسالة الى طبيب اسكندر وكان اسمهُ فيلبس الحكيم الكبير قائلين ان اهلكت اسكندر بادويتك وارحتنا منهُ جعلناك ملكاً علينا وعلى ارض مصر كلها كيوسف الصديق و يدعى اسمك عظيماً عند سلطان الملوك دار يوس . فلما قرا الحكيم الرسالة انقلب ضاحكاً واستهزأ بهم وللحال كتب لهم جواباً قائلاً يا اهل مصر المتوحشين والعديمي الفهم . لو كنت اهوى ان املك مصر لكان سيدي اسكندر وهبني اياها حالاً فاعلموا ان عندي اسكندر يعلو ملوك الارض كلها . وعما قليل ترونه على جواده الاعظم مقبلاً اليكم فقرأ اهل مصر رسالة الطبيب فيلبس واعتجبوا من حسن امانته لسيده واخلاصهِ لهُ وخافوا من ذلك وكتبوا رسالة اخرى وختموها و بثوا بها الى اسكندر قائلين يا اسكندر لاتامن حكيمك فيلبس ولا تركن اليهِ لانهُ مزمع ان يقتلك فاحذره وها نحن لك من الناصحين فاتوا بالرسالة الى انطيوخس واحضرها الى اسكندر فقراها وابقاها في يده . وفي تلك الساعة اتى الحكيم فيلبس الى اسكندر ومعهُ ادوية في قدح بلور صافٍ وقال لينهض سيدي اسكندر و يشرب هذا القدح لكي يتعافى . فجلس اسكندر وتناول القدح بيده ورفعهُ متنهداً وقال لعل هذا القدح لصلاحي ففطن الحكيم للوقت بما صار من المصريين واخذ القدح من يده وشرب نصفهُ ثم دفع ما بقي منهُ لاسكندر فشربهُ كلهُ وحينئذٍ دفع رسالة

المصريين الى الحكيم فقرأها وهز براسهِ وتمرمر وبكى بحرقة حزن من كثرة حبهِ للاسكندر وقال يا اسكندر العزيز لو اكون علة موتك ياليت شعري اي ملك او اي سيد او اي حبيب اجد مثلك اليوم فاني اعلم ان موتك شر عظيم وسفك دماء في جميع الممالك قال اسكندر قد علمت عظم محبتك لي وان ذلك انما هو من مكر المصريين وخبثهم . ثم رقد اسكندر ذلك النهار جميعهُ واستراح وافاق عند المساء وامر بان ينادوا بالرؤساء ومقدمي الجنود والعسكر لمناولة العشاء معهُ

ثم رقد تلك الليلة واستراح وفي الغد امر ان يتاهب العسكر للقتال وشرع بمحاربة المدينة فاحاط بها من جميع جوانبها وضربت الطبول وانقدت نار الوغى وكان النشاب يتناثر في داخل المدينة كالمطر حتى احتجبت الشمس ولم يقدر احد ان يصعد الى السور و يظهر عليهِ . فلما راى المصريون ذلك افتتنوا في داخل البلد واختبطوا وعرفوهُ انهُ هو اسكندر بن نكتينافون وفطنوا بالوصية وصرخوا قائلين ارحمنا يا اسكندر بن نكتينافون ملك مصر سيدنا . فامر بكف الحرب عنهم ودخل الى المدينة وسالهم كيف علمتم انني ابن نكتينافون ملككم . اعلموني حقيقة المقال فاخذوا يقصون عليهِ جميع كلام نكتينافون لهم واخبروهُ عن الرسالة التي ابقاها عندهم فذهب اسكندر وقرأها وكان مكتوباً فيها لا استطيع ان احارب داريوس الفارسي وها انا ماضٍ من عندكم شيخاً ولكن بعد ثلاثين سنة سياتيكم شاب هو هذا صورتي مشخصة على العمود الذهبي الذي في وسط المدينة والتاج موضوعٌ على راس الصورة فمتى اتى الى العمود ووقف تحت الصورة ووقع التاج على راسهِ تعلمون انهُ ابني فلهُ اخضعوا ولامره اطيعوا فذهب اسكندر ووقف تحت العمود مقابل الصورة فسقط التاج على راسهِ فتحيرت سكان مصر لهذا الامر الغريب فامر اسكندر ان تركز اربعة اعمدة عالية في وسط المدينة في موضع مرتفع مصورة على العمود الاول صورتهُ من ذهب وصوّر على العمود

الثاني صورة بطلوماوس وعلى الثالث انتيوخس وعلى الرابع فولونيوس البطل ووجه تلك الصور الثلاثة الى نحو المشرق واما هو فجعل صورتهُ اعلى منهم ينظر الى مدينة مصر و بيدهِ سيفٌ مسلول . ثم انعم على الحكيم فيلبس ان يتسلط على جميع ارض مصر ووجد اسكندر في مصر كنوزًا كثيرة من ذهب وفضة فرقها على عساكره وفي تلك الاثناء اتى روساۤء مصر وقالوا لهُ اعلم ان داريوس ملك فارس قد اتي بعساكر لا تحصى وقطع نهر الفرات فلما سمع اسكندر كلامهم امر بان تتاهب العساكر واحصاهم فكانوا الف الف رجل خمسماية الف من المشاة والباقون فرسان واما عسكر داريوس فكان الف الف فارس وتسعماية الف راجل وفي تلك الليلة قبضوا على جواسيس من عسكر داريوس واتوا بهم الى اسكندر فامر بان يخوفوهم بالعقاب حتى يعترفوا بكل قوة داريوس وكم معهُ من العساكر وابقاهم عندهُ الى الليلة المقبلة فلما جنَّ الليل وادلهم الظلام امر عساكره ان يشعل كلٌّ منهم نارًا لوحده . وامر بان يخرجوا جواسيس عسكر داريوس و يروهم ذلك فتعجبوا واندهشوا . ثم اطلقهم ليذهبوا الى عسكر داريوس ملكهم واوصاهم قائلاً اذا عقد الحرب بين المكدونيين والفرس فاحتفظوا لئلا تهلكوا وتبادوا وقولوا لداريوس لا تتوارين عن عسكرك بل احضر القتال فانهُ حيث تكون العجلات الذهبية المصنوعة من انياب السباع والخوذ الذهبية والنفير والطبول والخيول الاطائب فهناك اسكندر وهناك يجدني داريوس اوصاهم بهذا واطلق سبيلهم فذهب الجواسيس واخبروا بكل ما شاهدوهُ عيانًا وبما قالهُ اسكندر

فلما سمع داريوس امر بقطع السنتهم لكيلا يسمع عسكر فارس مديح اسكندر واراد ان يباشر الحرب بنفسهِ فمنعهُ روساۤوه قائلين لا يليق بملكك وعزك ان تحضر انت بنفسك وتقاتل اسكندر لانهُ شاب جبان واحقر الملوك فراق لهُ هذا الراي ونادى حينئذٍ وزيره الاعظم سيمادون وقائد عساكرهِ وكان شهيرًا بالشجاعة والفروسية في ارض الفرس فقال لهُ داريوس قم وخذ

معك من عسكر الفرس ستماية الف ومن النيوبد ميئتي الف واربع ماية الف من رماة القوس واذهب بهم واقطع الفرات واينما صادفت اسكندر فقاتلهُ وأتني بهِ حيًّا فان ولَّى هاربًا فتاثره وطاردهُ الى اقصى الارض واذهب في حظي وسعدى والهُ الفرس معك فاخذ الوزير العسكر واجتاز بهم عدوة الفرات ونظر عسكر اسكندر قد تهيأ للقتال فلما راى اسكندر عساكر الفرس قد اقبلت امر عساكره ان يتاهبوا وركب جواده ونادى بهم وقال يا اخوني واولادي الشجعان المحنكين في الحروب والمعارك ايها الابطال الاسود الضارية والفرسان نخبة من امتطى صهوات الخيل في يوم الوغى المتسربلين بالحلل الذهبية نعمة الاله وستره ورحمته تظللكم انكم تعلمون بذهابنا الى اورشليم اذ سجدنا في هيكل الاله الاعظم وبمعونتهِ غلبنا اعدانا وتملكنا رومية ومصر وما يحيط بالبحر وجميع الممالك اخذناها وها الان قد وصلنا الى مملكة داريوس الفارسي فان غلبناه وقهرناه سدنا العالم وان هو غلبنا لن نفلت من يدهِ ولا يكون لنا ملجا في الارض كلها فلنمت في الحرب ولا نقهر ونولي هاربين من امام اهل فارس واعلموا اننا سنقهرهم ونحطمهم لان الملك داريوس ليس معهم ولما كانوا لا راس لهم فلا عزم من ثم ولا قوة لهم وانتم ملككم معكم فانتم كالذئاب الخاطفة بين الغنم وبقوة الاله تحطمونهم فلا قلب لهم فانما هم ضعفاء كالنساء وفي هذه المعركة تظهر شجاعتكم فلا يقفون امامكم ساعة بل يولون الادبار ولما اكمل كلامه ركب الحصان الاعظم ذا القرون ووضع الخوذة على راسهِ وقسم العسكر ثلاثة اقسام وقام للحرب وشكر الاله الاعظم وصلى ولحق بعسكرهِ وارسل امامهُ لايبن وانتيوخس وبطلوماوس فقاموا بازاۤء الفرس ودارت رحى الحرب بالطعن والضرب فتكسرت رماحهم فاستلوا سيوفهم وجهًا لوجه الواحد يبرز لاخر فلم تطل الفرس القيام تجاه اسلحة المكدونيين بل ولوا الادبار مقهورين واسكندر من ورائهم وما زالوا يطاردونهم ويفتكون بهم حتى اوصلوهم الى خيام داريوس فلما راى داريوس

هزيمة عسكره ركب فرسه وولى هاربًا فامر الاسكندر بدفن قتلى الفرس واطلق اسراهم واوصاهم ان قولوا لدار يوس ملككم حسبك ان تحكم في مملكة الفرس بل ارسل خراجًا وعسكرًا لمعونتي وها قد قتلت وزيرك الاعظم فيماندون ثم نهض وعبر نهر الفرات في عساكره الى تلك الجهة وامر فخربوا جميع القناطر ثم التقى العسكران ايضًا عند عبر النهر وانقدت الحرب بينهم ثانيةً وكنت نسمع اصواتًا هائلة من الصفين من طعن رماح وحراب وضرب سيوف وصهيل خيول وصراخ عساكر وعويل ونحيب ومن كثرة الصياح وقعقعة السلاح ارتجت الارض وارتجفت من اول النهار الى اخرهِ وانكسر عسكر الفرس وقد سبح بدمائهِ وولى من امام الاسكندر والمكدونيون يطاردونهم ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ فقتل من الفرس اربعماية وأُسر الف ومايتا الف الف واتي بهم الى اسكندر فاوصاهم وقال لاترجعوا الى الحرب من الان ان رغبتم في الحياة وامر باطلاقهم واما داريوس فانهُ هرب في قليل من عسكره ودخل مدينة بغداد واسكندر يتبعهُ حتى وصل الى بغداد وعسكر حولها ولم يمكنهُ سكانها من الدنو منها لانها كانت حصينة متينة وكان نهر عظيم حول المدينة داخلاً في وسطها ومن شدة جريانه لم تقدر خيل اسكندر ان تخوض فيهِ فذهب اسكندر في اصحابه الى جانب النهر من فوق وضرب خيامهُ هناك وامر ان تحفر خنادق بين العسكر وحفر بقرب النهر خندقًا عريضًا عظيماً وحول ماء النهر في الخنادق وفي بعض اليالي كان عيد لاهل مدينة بغداد فذهبوا باسرهم الى هيكلهم ليعبدوا الهم وفي تلك الليلة نفسها حول اسكندر ماء النهر الى الخنادق وباغت المدينة داخلاً في اصحابه من مجرى النهر وامر ان توقد نيران في اطرافها فلما شاهد سكان المدينة المكيدة ونظروا النيران حولها صرخوا قائلين ارحمنا يااسكندر ياملك بغداد وسيدها ثم اتوا وسجدوا لهُ جميعهم وقدموا الهدايا واقروا لهُ باموال داريوس كلها وكانت تبلغ الف الف قنطار من الذهب واتوا اليهِ ايضًا بالف فرس من الخيول الملوكية

المنتخبة وقدموا لهُ ماية سبع ملجمة بسلاسل ذهب وفضة والف نمر للصيد ومن الخيل العربية خمسماية منتخبة واثني عشر الف اناء واثني عشر كاسًا كلها من الذهب الابريز مرصعةً باللآكي والف قصعة من ذهب خالص مرصعة ايضًا بحجارة ثمينة لاتحد قيمتها وثلاثة الاف سرج للخيل لاحديد لها وديباجات ملك فارس المرصعة بحجارة ثمينة وتاج الملك صوصوخوس الذي ملك المسكونة ومائدة قطعة واحدة من زمرد اخضر وهذه المائدة من ذخائر داريوس كان ياكل عليها واما الاسكندر فانهُ اقام في بغداد ثلثين يومًا حتى اذا بلغ داريوس ان اسكندر قد حاصرها وافتتحها اشتد الامر عليهِ واغتم وتاوَّه وبكى وقال الويل لي انا داريوس المتعظم لانني لم اتنازل واكلم اناسًا ارضيين ودعوت نفسي الهًا فقد خُذلت الان وانحط شاني واضعت كرامتي وامسيت ادنى الناس فان احقر ملوك الارض انى وافسد مملكتي واهلك عسكري وحطم قوتي فكم من حصون ملكتها واهلكت اهلها والان قد انتقم مني فموت في الحرب ولا عيشة الذل ثم التفت الى رئيس قواده افيسوس الذي احبهُ جدًا وقال ايها الشهم هل تقدر ان تقتل اسكندر وتعتق اهل فارس من تمردهِ وتفديهم بروحك ليتذكروك الى الدهر فلست اطلب تحرير مملكتي الان الاَّ منك . فلما سمع افيسوس قول داريوس صعدت النخوة في راسهِ واخذتهُ الحمية والغيرة فذهب ولبس لباس المكدونيين وتسلح بسلاحهم وركب حتى وصل الى عسكر اسكندر واختلط بينهم فراى اسكندر امام خيمتهِ وهو راكب على الحصان الاعظم يحصي العسكر فاقترب منهُ افيسوس واستل سيفهُ وضربهُ بجدهِ ضربةً قاتلةً فجاءت الضربة على راس الخوذة فحلقها كما يحلق الشعر بالموسى فصرخ اسكندر وقال سيفٌ مكدونيٌ لكن اليد ليست مكدونية بل فارسية فعندها اخذوا السيف من يدهِ ولم يدعوه ان يثني بالضربة . واخذوا خوذتهُ عن راسهِ واوقفوه امام اسكندر فسالهُ من انت ومن اين اتيت فاجابهُ انا افيسوس رئيس قواد داريوس فلم

احتمل ان يكون ملكي مكدرًا اتيت لاقتلك يااسكندر واعتق سيدي منك ولو خسرت حياتي على ان الله لم يشاء موتك

فاجابهُ اسكندر ياجاهل انت قد اكملت وصية صاحبك وكدت انا عن قليل اكون قتيلاً من يدك لكن ماذا ينفعك الان صاحبك دار يوس ولكن لما انك اخلصت لسيدك وخاطرت بنفسك ولم تشفق على حياتك ها انت معتوق الان ولا يضع احد عليك يدًا واما الامر الذي اقتحمته فلم يتجاسر عليهِ احد قبلك فاذهب الى دار يوس وقل لهُ فليعقل و يرشد و يسلم لي ويرفع عنهُ الافتخار الباطل و يودي خراج فارس و يقدم عسكرًا لمعونتي و يستمر مستريحًا ملكًا في بلاده وارضه فانقلب افيسوس راجعًا الى دار يوس وقص عليهِ جميع ماجرى لهُ مع اسكندر وكيف اعتقهُ من الموت ووهبه الحيوة فشكر دار يوس افيسوس على فعلهِ فقال افيسوس اعلم يادار يوس ان كلما خولتني من الاكرام والنعم والمجد قد وفيتك اياه اليوم ببذلي نفسي عنك الا ان اسكندر كافاني بخير اعظم منك لانهُ اعتقني من الموت ووهبني الحيوة فها انا الان ماضٍ اليهِ لاخدمهُ ثم ودع دار يوس وسجد لهُ وذهب الى عسكر اسكندر فاغتم عليهِ دار يوس وحزن حزنًا عظيمًا

الفصل السادس عشر

وفي تلك الليلة راى اسكندر في نومهِ ارميا النبي لابسًا حلة الكهنوت كانهُ في قدس الاقداس وهو يشير اليهِ قائلاً اسرع يااسكندر واذهب الى مملكة فارس رسولاً وجس الارض وانظر عسكر الهند الذين وفدوا لمحاربتك فان عرفوك واشتهر امرك فلا تخرج لان يمين الله تعضدك ولا تجزع من شيء البتة ولما استيقظ اسكندر قص الرويا على بطلوماوس واندريوخس وفيلونوس روساء القواد المقربين اليهِ واصحاب مشورته وهمَّ بالذهاب ثم اوصاهم قائلاً

ان عرض موتي فاقسموا ممالك الارض فيما بينكم واما مملكة مكدونية فدبروها حسنًا واما هم فالتمسوا منهُ ببكاء ونوح قائلين لاتذهب فاجابهم ان كان الله قد اذن بموتي فالعالم كلهُ لايقدر ان ينجيني وان هو نجاني فليس من انسان يضع عليَّ يدًا

الفصل السابع عشر

فتسربل اسكندر بحلة مكدونية وجعل على راسهِ خوذة من ذهب مرصعة بجواهر تتقد كالنار وتوشح بحلةٍ موشاة بالذهب الوهاج كلها من قرون الافاعي من اعلاها الى اسفلها مرصعة بجواهر و يواقيت تبهر الاعين وازرارها من لآلي وسار كانهُ رسول من قبل اسكندر واخذ معهُ رسالة كاتبها من اسكندر ولما حضر قدام دار يوس صنع دار يوس مجمعًا كبيرًا ليظهر عظمتهُ قدام رسول اسكندر واما اسكندر فدخل الى البلاط الملوكي بكل احتشام وادب ودار يوس جالس فناولهُ الرسالة وكلمهُ قائلاً ان سلطان الملوك العظيم الشان الجليل القدر والعظيم الاقتدار سيدي اسكندر يهديك السلام يادار يوس وقد رسم ان تفهم مضمون هذه الرسالة وتعطي جوابها من غير ابطاء وكان دار يوس جالسًا على كرسي رفيع وحولهُ صفوف من الفرس متوشحون بحللٍ من ذهب ولباسهم يلمع كلباس الملائكة و ينظرون اليهِ كانهُ اله واما ارض بلاطهِ وسقوفها وحيطانها فكانت جميعها مغشاة بذهب مرصع بالحجارة واليواقيت وفي اربع زوايا البلاط اربع جواهر حجارة كريمة اعظم من المصابيح تتقد وتضيء في الليل كضوء النهار فقبل دار يوس رسالة اسكندر وكان ينظر الى الخوذة التي على راسهِ و يتعجب منها وهو متحير في نفسهِ لذلك اللباس الذي كان اسكندر لابسهُ فقرأ الرسالة واذا هو يقول فيها من سلطان الملوك والمقتدرين اسكندر ابن فيلبس حاكم المسكونة بقوة رب الجنود ورحمتهِ

وعنايتهِ الذي انا تراب امامهُ الى داريوس الملك انت تعلم ياداريوس ان من عهد ابي فيلبس كنت تاخذ الخراج من ارض مكدونيا واما ابي فتوجني ملكًا في حياتهِ ثم مات وانت لم تقدم لي الاكرام اللائق بالملوك من غباوتك وجهلك بل عزمت ان ترسل احد اصحابك ليحكم مكدونيا ويطردني من بيت ابي ومملكتي ذلك حكم جائر لاحظته عين العناية الالهية التي لا تغفل والناظر الى الكل اظهر فيك حكمه العادل فرفعني وجعلني اسود الارض باسرها وقد زعمت انت اني صبي وانا وافد اليك لتراني كرجل لكني لست قاسيًا وعديم الانسانية نظيرك فمن الان ارجع الى رشدك وتب الى الله واخضع لي واعطني خراج ارضك واسترح في مملكتك آمنًا مطمئنًا وان خالفت فاعلم ان جميع عساكرك لن يخلصوك من يدي بل يذهبون طعامًا لسيوف المكدونيين واستعد من الان فاني وافد اليك في جيشي الى خمسة ايام عند نهر ارسانياس فلما سمع داريوس هذه الرسالة تمرد جدًا وقال لعظمائهِ لمن هذه العظمة والافتخار وكان اسكندر واقفًا امامهُ فاجابهُ قائلاً لا تعجب ياداريوس فاعلم ان المكدونيين قد ملكوا اليوم كل الارض قال داريوس ومن اين لهم ذلك قال اسكندر لانهم غير منشقين بل متفقون وطائعون لملكهم حتى الموت وان عرض لاحدهم امر يبذل الاخر نفسهُ عنهُ واما في الشجاعة والعقل والتمييز فلا شبيه لهم وهم كثيرو العدد لا يقعون تحت حساب وليسوا جبناء كالفرس فاقترب من اسكندر احد روسا داريوس وقال لهُ لماذا تجاوب الملك بجسارة كهذه فاجاب اسكندر ان لي سيدًا عظيمًا وانا اجاوب عن وجه ملكي فابعد من امامي واما داريوس فقال لاسكندر الليلة نتناول الطعام عندي حتى نكتب جواب الرسالة الى سيدك فجلس داريوس على العشا مع حجابهِ ووزرائهِ واما اسكندر فجلس امام داريوس مكان رسول وفيما هم ياكلون احضروا خمرًا وناولوا اسكندر في قدح ملوكي من ذهب نقي فشربهُ واخذ القدح ووضعهُ في جيبهِ فاوما الساقي الى داريوس فقال لهُ اسقهِ

في غيرهِ ولما اعطاه القدح الثاني شربهُ ثم خبأه في جيبهِ فالتفت احد روساء داريوس وكان جالسًا على المايدة وقال لاسكندر علانية لماذا صرت لصًا على المايدة الملوكية وسرقت القدح قال اسكندر ان ملكي العظيم الشان لهُ مثل هذه العادة وهي انهُ عندما تكون رؤساؤهُ ووزراؤهُ على مائدتهِ فكل من شرب في قدح كان لهُ القدح هبة الى الثالث فلما سمع قواد داريوس ووزراؤهُ عجبوا وقالوا هي عادة ملوكية وحسنة جدًا

الفصل الثامن عشر

وكان هناك رجل من اصحاب داريوس اسمهُ قنطركوشي هذا كان أرسلهُ سابقًا داريوس لاسكندر لكي يحكم ارض مكدونيا فعرف اسكندر ونهض قائمًا واشار الى داريوس سرًّا وقال افرح ايها الملك واعلم انك اليوم ملك جديد فقال داريوس لماذا وكيف ذلك قال اعلم ان الرسول الجالس على مائدتك هو اسكندر بن فيلبس بعينهِ فامتلأ داريوس فرحًا وقال ان كان ذلك حقيقيًا فانا اليوم ملك الارض كلها ولكنني لا اصدق ان حاكم المسكونة يخاطر بنفسهِ الى هذه الدرجة ويتنازل فيجعل ذاتهُ رسولاً فقال قنطركوشي ان لم يثبت كلامي هذا والاَّ فاقطع راسي وفيما هم يتشاورون فطن اسكندر بانهم عرفوه وكان معهُ خاتم اخذهُ من مدينة طرواده كان لكلاوبطرا ملكة مصر فكان هذا الخاتم مصنوعًا بحيلة فلكيَّة واذ كان اسكندر يلبسهُ في اصبعهِ ويفركهُ يختفي عن اعين الناظرين فامتلا داريوس فرحًا وقال ياهولاَ قد لا يكون هذا اسكندر بل يشبههُ ثم التفت نحوه وقال انت هو اسكندر بعينهِ قال بغير خوف ولا جبن كلا بل اني اشبههُ فهو يحبني كثيرًا وكثيرون غيرك اذ راوني سجدوا لي لظنهم اني اسكندر فلما سمع داريوس ذلك لم يدرِ ما يقول ولئلا يكون الامر كذبًا ويسخر بهِ نهض قائمًا وضرب المايدة

برجلِهِ ودخل ايوانه مع اصحابهِ ليشاورهم كيف يقبضون عليهِ ثم اخذوا المصابيح من المائدة الى امام داريوس واستمر اسكندر مع الروساء في البلاط والوقت غيَّر اسكندر شكلهُ ولبس لبس الفرس وفرك الخاتم في اصبعهِ فصار خارج السرايا ثم اسرع الى باب المدينة فصادف البواب ساهرًا فاخرج اول قدح من جيبهِ فدفعهُ لهُ وقال خذ هذه العلامة الملوكية واسرع بفتح الباب لان الملك ارسلني لاشدد الحراس ففتح لهُ في الحال ثم وصل الى الباب الثاني ففعل كذلك ولما صار خارج السور اسرع الى الفرس الاعظم فركبهُ وسار حتى وصل الى نهر ارسياس فراه مجلدًا فعبر على الجليد الى الناحية الاخري فوجد انطيوخوس و بطولوماوس وفيليونوس وسلفكيوس احباءه في قلق وغم فاخبرهم بجميع ما جرى لهُ مع داريوس في البلاط الملوكي واما داريوس فدخل القبة وجميع وزرائهِ الاثني عشر وقال لهم اعلموا ان هذا الرسول هو اسكندر قالوا ان كان هذا الكلام حقًا فالهة الفرس قد تحننوا علينا ورحمونا واطالوا في الحديث ثم خرجوا خارجًا وطلبوا اسكندر ليقبضوا عليهِ فلم يجدوه فاسرعوا الى ابواب المدينة وسالوا الحراس فاخبروهم ان انسانًا دفع لنا هذه العلامات الملوكية مدعيًا بان الملك ارسلهُ ليشدد الحراس ففتحنا لهُ وخرج . فركب قنطر كوشى ومعهُ جماعة وجدّوا في طلبهِ الى النهر حتى طلعت الشمس فراوه في تلك الناحية وهو مع العسكر فصاروا في حيرة وكادوا ان يخنقوا ذواتهم في النهر من كدرهم حينئذٍ كلمهم اسكندر وقال يااهل فارس لماذا تحاولون ان تضادوا الرياح فاذهبوا الى ملككم وقولوا لهُ بعد ايام قليلة انا وافد اليهِ بعساكري لاقاتلهُ فليستعد لي عند نهر ارسياس فرجع القوم الى داريوس واخبروه بما شاهدوا وسمعوا من اسكندر فلما عاين داريوس مكر اسكندر ومكيدتهُ بكي وقال لوزرائهِ رأيتم مكر ابن فيلبس فانهُ نظير لصّ اتى الينا واختبر اراضينا وملكنا لكن فاعلموا انهُ سلب منا بلادنا وكرسي فارس وملك موضعنا ياالشقاوة حظي قد كان ملكي في الابتداء حلوًا واما الان فقد وفدت

العساكر فازداد جزعي وسقيت كاسًا امر من العلقم

الفصل التاسع عشر

ثم ان داريوس كتب رسالة الى حميهِ ملك الهند القصوى يقول فيها من داريوس المنكود الحظ الى الملك الاعظم بورس المتلالئ اكثر من الشمس الرفيع المقام ذي الفخر النامي والعز السامي الذي تحت طاعتهِ ستة وثلاثون ملكًا ساجدون لهُ اعلم انك انت اليوم شمس تشرق في كرسي الهند القصوى وساعدك الشديد مرتفع على كل ملوك الارض انا داريوس ملك فارس اكتب اليك ان احقر الملوك واصغرهم اسكندر بن فيلبس اتى كلص مقتدر وتغلب على مملكتنا واخذ مواضعنا بغتةً وافسد ثغورنا واهلك شجعان فارس بحد السيف واباد الفرس وخرب ارض المغرب كلها وملك الحصون والمدن والقلاع كلها وفتح بغداد المدينة الحصينة الشديدة وضمها الى مملكة المشرق واما الفرس فانهم خافوا منهُ وجزعوا جزعًا عظيمًا ولم يجسروا على ملاقاتهِ في الحرب وقاتلناه فانكسرنا من امام وجههِ ذلك لم يكن يخطر في بال فالان نتضرع الى ملكك ان تضيء شعاعات عزك علينا وتنهض لمعونتنا وترسل لنا عسكرًا من قبلك فنقاتل العدو دفعةً اخرى فاما اني اقتلهُ واهلكهُ او يقتلني لانك انت اليوم ملجانا وعلى عزك قد القينا اتكالنا لنعتق من ايدي المكدونيين القساة . فلما وصلت هذه الرسالة الى بورس ملك الهند وقرأها قال لافرح الا ويعقبهُ حزن قد تعظم داريوس بجهله ودعا نفسهُ الهًا في ما سلف والان يخشى المكدونيين ثم دعا واحدًا من وزرائهِ المتقدمين عنده وقال لهُ انطلق في اربعة الاف الف واذهب لمعونة داريوس واما اسكندر فاحرص ان تمسهُ بضر بل تاتي بهِ سليمًا لكي انظره فقد بلغني عنهُ انهُ عاقل

شجاع فسمع داريوس بان قد وفدت عساكر الهند لمعونتهِ وفرح جدًّا وجمع عسكر فارس واحصاهم فكانوا عشر كرات وذهب لقتال اسكندر في عساكر الهند وارسل جواسيس يجسوا عسكر اسكندر فقبض عليهم اصحاب اسكندر واصعدوهم الى مكان مرتفع ثم امر اسكندر فتسلح العسكر كلهُ ووقفوا مستعدين للقتال وهم يزأرون كالسباع ثم عفا سكندر عن الجواسيس ولم يقتلهم بل اعطاهم ملابس واسلحة مكدونية وارسلهم الى داريوس فقال لهم ما رايتم قالوا عساكر لاتحصى وابطالاً كثيرين وهم وافدون اليكم كالذئاب من غير خوف ولا وجل وخيلهم تسابق الرياح في جريها

الفصل العشرون

وكان لما التقى العسكران اتقدت نار الحرب وثار عجاجها فاظلمت الشمس واستولى على الفريقين خوفٌ عظيم واشتد القتال حتى لم يكن بعضهم يعرف بعضًا وكان المكدونيون يحصدون الهنود حصد القمح بالمناجل ويطيرون منهم الجماجم ولم يزالوا كذلك في اشد قتال حتى جرت الدماء انهرًا فازداد الفرس خوفًا واحتسابًا وانقلبوا منهزمين

فلما راى اسكندر هزيمتهم دخل في وسطهم في مائة الف مقاتل نخبة ولم يزل يقاتل فيهم حتى كاد يفنيهم فلما نظر اهل الهند وتحققوا انهُ هو الاسكندر ارتاعوا وراى داريوس ان اصحابهُ قد انكسروا حار واضطرب وخاف وارتعد وولى الهرب وفيما هو يئن نوحًا ويقول ياجهلي قد تعاليت الى السماء ولست بمستحق ان ادوس الارض بل هي تطردني وساقع قتيلاً بيد المكدونيين وهرب ما تبقى من الفرس الى المدينة واما داريوس فكان معهُ اثنان من وزرائهِ المخلصين اسم احدهما قنطركوشي وهو الذي عرف اسكندر حين

تنكر والاخر ارشيدوشي فضربا بالسيف فسقط في الارض يختبط بدمهِ فعرياه واخذا سلاحه وظن اسكندر ان داريوس ليس مع العسكر فدعا واحدًا من قوادهِ اسمهُ فولونيوس وقال لهُ اذهب الى عسكر الهند وفارس واخبرهم ان داريوس قد فقد واخشى ان يكون مقتولاً فلا احد منكم يهرب واذا هربتم حلّ بكم البلاء فانطلق فولونيوس واخبرهم بما امر اسكندر واخذ منهم الطبول والزمور والنفير وجميع الآت الموسيقى وسلموه خيلهم وسلاحهم وطلبوا من اسكندر الامان فاطلقهم وقد اوصاهم فولونيوس بان قولوا للملك بورس ان يكفلهُ بان يحكم ارض الهند وتخومها وما زاد على ذلك فليدعهُ لي واعلم يابورس اننا نحنُ اليوم بمعونة الله وسيف اسكندر مولانا روسا فارس وقد صرنا جيرانًا فاتى عسكر فارس واقترب من عسكر الهند وانضموا اليهِ واتوا وسجدوا لفولونيوس رسول اسكندر وفرحوا جدًّا اذ قد اصبحوا لمثل هذا الملك الحكيم الحليم

الفصل الحادي والعشرون

وفيما كان اسكندر مجتازًا في عسكرهِ المايه الف راى داريوس مطروحًا على الارض وهو على آخر رمقٍ فصرخ يا اسكندر الملك انزل بالعجل وهلمّ اليّ فالتفت اسكندر اليهِ وقال من انت فاجابهُ انا داريوس المرتفع الى السماء والان قد هبطت الى عمق الجحيم انا الذي ملكت المسكونة وهوذا الان سقطت من كرامتي الى الارض انا داريوس الذي سجدت لي الوف وربوات ها انا مطروح على الارض تحت ارجل الخيل اموت موتًا شنيعًا فاذكر انت ايضًا الموت يا اسكندر ولا تتركني هاهنا على التراب معفرًا بدمي لانني عالم انك حليم شفوق ولست مثلي قاسيًا فلما سمع اسكندر كلام داريوس حزن جدًّا عليهِ وتوجع ونزل عن فرسهِ

ودنا منهُ وخلع عليهِ وشاحهُ الذهبي وستره بهِ ثم امر المكدونيين فاتوه بعجلة من ذهب ووضعهُ فيها ودخلوا المدينة معًا وحملهُ اسكندر على منكبيهِ رمية سهم وقال لهُ ها قدصنعت معك الاكرام اللائق بالملوك فان عشت فكرامتك تتضاعف وان مت فادفنك باكرام ثم ذهبوا بهِ الى البلاط ووضعوه في سرير من ذهب واما اسكندر فتسربل بملابس ثمينة فاخرة ووضع على راسهِ تاجًا باهرًا وجلس على كرسي من ذهب نقي مرصع بجواهر كريمة هكذا كان كرسي داريوس فاتى اهل فارس والمكدونيون وسجدوا لهُ وعظموه قائلين فلتكن ايامك مديدة يااسكندر ملك المسكونة وملك فارس الجديد فامر داريوس حينئذٍ بان ياتوه بابنته روكسندرة البارعة الجمال اذ لم يكن في ارض الفرس نظيرها فلما راها امتلأت عيناه بالدموع ثم قبلها وقال لها ياابنتي العزيزة ها انا ماضٍ وقد اتيتك بديهًا بزوج من مكدونيا لم اكن انتظره البتة سيد اهل فارس وملك المسكونة كلها لان هذه الحروب وسفك الدماء انما كانت لاجل عرسك ونحن ياابنتي ارتفعنا الى السماء وتعظمنا جدًّا الا اننا هبطنا ساقطين ونزع الله منا كرامتنا وسلط علينا المكدونيين فاوصيكِ ياابنتي ان تحفظي عهدي وعهد اسكندر وتقدمي لهُ الاكرام اللائق بالملوك وتجعليه سيدًا لكِ وتطيعيه فيما يامرك بهِ لانك من الان في يديهِ امراة لهُ ثم امسك بيدها وسلمها الى اسكندر وقال لهُ اقبل هذه الجارية امراة لك لانني قد ربيتها بالرفاهية والمجد وليس لها في الارض من مثيل اليوم وهي ملكة ابنة ملوك فاقبلها كجارية خادمة لعمرك وها انا اتركها هنا وامضي الى القبر حينئذٍ قام اسكندر عن كرسيهِ وامسك بيد روكسندره واجلسها معهُ في الكرسي الملوكي ثم رفع عن راسهِ التاج ووضعهُ على راسها فنزعت هي الخاتم من يدها ووضعتهُ في اصبع اسكندر ثم قال اسكندر لداريوس انظر ياداريوس وافرح بابنتك وليتحول حزنك الى سرور لان ابنتك البهية قد صارت قرينتي وهي ملكة معي ففرح داريوس ودعا لهما وقال كل ملوك الارض يسجدون

تحت اقدامكما وانكما بمعونة الله تملكان المسكونة ثم دعا داريوس زوجته ام روكسندره وسلمها لاسكندر وقال اقبل ياابني وصهري حماتك هذه فها قد سلمتها لك ولتكن عندك بمنزلة والدتك اوليمبياده واوصيك يا ابني اسكندر ان تحب الفرس لانهم اصحاب امانة لملكهم واما الذين قتلوني فسامحهم بذنبهم قبل ان تاخذ بثاري منهم ولما اكمل وصيتهُ مات فاغتم عليهِ اسكندر والعظماء وسائر المكدونيين وفارس ودفنوه باكرام في قبور ملوكهم ثم امر اسكندر باحضار الذين قتلوه وقال لهم لماذا قتلتم ملككم وسيدكم فاجابوه بامر التقدير قتل قال ان كان ملككم وسيدكم غدرتم بهِ والذي رباكم الى الان ولم يجزنكم قط قتلتموه فما اعساكم ان تفعلوا بي انا الغريب ثم امر باماتتهم تعليقًا. وقال كل من قتل سيده وخانهُ وكل من سلَّم مدينة او قلعًا او حصنًا ملعون من الله ثم تزوج اسكندر بروكسندره وكانت ملكة بنت ملوك عاقلة جميلة تحب المساكين وتتصدق عليهم وتفتقد المحبوسين والمرضى وتهتم بالغرباء

الفصل الثاني والعشرون

وبعدان تزوج اسكندر كتب رسالة لامهِ اوليمبيادة ولارسطاطاليس معلمه يقول فيها من اسكندر سيد الملوك وملك العظماء الى امي اوليمبيادة ومعلمي الحكيم الكبير ارسطاطاليس اعلما انهُ قد مضى عليَّ سبع سنوات من حين خرجت من عندكما ولم ارسل لكما رسالة ولا وقفتما لي على خبر فلا ذنب علينا بذلك اذ بدت لنا امور ضرورية وحدثت حروب صعبة مع داريوس ملك الفرس فقاتلناه ثلاث دفعات وانهزم مكسورًا بقوة الله فلما راى الفرس ذلك اتوا وسجدوا لي وصاروا لي عبيدًا اما داريوس فتوفي وقبل وفاتهِ قدم ابنتهُ الجميلة زوجة لي فلما رايت حسنها وجمالها يفوقان كل نساء فارس اتخذتها لي زوجة وهي مالكة معي في ارض فارس واني على اتم الصحة ومزيد السرور

وفي حال وصول رسالتنا اليكما ارسلا الجواب وانعم اسكندر بحلل مكدونية على اهل فارس وامرهم بلبسها وقد وزع اثناء العرس شيئًا كثيرًا من الذهب والفضة وامر بنصب عامود من فضة عظيم عالٍ في وسط المدينة واخرج مناديًا ينادي قائلاً لكم اقول يااهل فارس فاسمعوا انني اسجد للاله ملك السما والارض رب الجنود خالق الكل الكائن في كل مكان الذي امامهُ الوف الوف وربوات ربوات من المليكة يخدمونهُ بخوف و يصرخون قدوس قدوس قدوس بغير انقطاع غير المنظور غير المتغير الذي خلق الانسان الواحد وهو ادم وامراته حوا ومن زرعهم امتلأت الارض هذا هو الاله الذي يسحق جميع الالهة الباطلة و يبيد الساجدين لها اما انا فاسجد وامجد الضابط الكل

الفصل الثالث والعشرون

وبعد هذا امر اسكندر بضبط كنوز داريوس فوجدوا اثني عشر صهريجًا من سبائك الذهب وقبوًا مملوًا فضة ولم يقدر احد ان يحسب غنى داريوس ويحصاه وكان عنده خيل منتخبة الف الف فرس وكلاب للصيد عشرة الاف وسباع خمسمائة ونمورة الف وار بعماية فهذه الذخائر كلها اخذها اسكندر ووهبها لروساء دولتهِ ولبقية عسكره بالسوية . ثم امران يخرج العسكر خارجًا ليحصيه فوجد عنده من الجنود ركاب الخيل اربعون كرة ثم خول فولونيوس وزيره وحكمهُ ارض فارس وتركهُ عند الملكة امراة داريوس واقام اسكندر في بلاد الفرس سنة

الفصل الرابع والعشرون

ثم ارتحل اسكندر من بلد فارس وسار طالبًا نواحي الهند ليقاتل بورس

ملك الهند الاقصى فقهر حكام الاماكن التي مربها ومقتدريها وتغلب على جميع القبائل فصاروا جميعًا عبيدًا لهُ حتى اقصى الارض ومن هناك ارتحل نحو عشرة ايام واتى مكانًا وجد فيه نساء وحشيات وكان طولهنَّ غير اعتيادي وكنَّ مكسوات شعرًا اخشنًا كشعر الخنازير واما اعينهنَّ فكانت تتقد كالمصابيح فاتينَ ليحاربنَ اسكندر وقتلنَ من عسكره كثيرًا فلما وصل اسكندر اوقد نارًا واحرق منهنَّ بغير عدد ثم ارتحل من هناك واتى الى مكان عجيب وجد فيهِ نملاً عظيماً شديدًا في قوتهِ مجنحًا حتى كاد يحمل الفرس و يذهب بها الى وكره فرسم اسكندر بان ياتوا بحطبٍ كثيرٍ وقصب وحوَّط حول اوكارهِ وحرق منهُ كثيرًا ثم ارتحل من هناك واتى الى مكان وجد فيهِ نهرًا عظيماً عرضهُ نحو اربعين ميلاً فامر ان تعمل سفن صغيرة و بعد خمسة وستين يومًا عبروا النهر الى ارضٍ واسعة فراوا اناسًا قصار القامة جدًّا فاتوا وسجدوا لاسكندر وكانت ارضهم تقطر عسلاً شهيًا وفيها تمرٌ لذيذٌ لاتحصى كثرته ولم يكن في تلك الارض الا العسل والتمر فقط فبنى اسكندر هناك مدينة واقام عليهم ملكـًا وكانت اراضيهم واسعة جدًّا فامر اسكندر جميع عسكره ان يحملوا في آنيتهم من عسل تلك الارض وتمرها فحملوا شيئًا كثيرًا كفاهم سنة كاملة فبعد هذا انتهى اسكندر الى ارض متسعة شاسعة كان في ناحية منها بركة ماء عذب كالقطر و بارد فنظر هناك عامودًا مصورًا عليهِ صورة انسان من ذهب وعظامًا وجماجم لاتحصى وعلى العامود كتابة مؤداها من يريد ان يصل الى طرف الارض فلا يجتز من هنا لان ليس شيءٌ قدامه انا هو الملك صوصوخوس الذي ملكت الارض وارتفعت الى السماء بجهلي فاردت ان اصل الى آخر الارض ولما بلغت الى ههنا خرج عليَّ الناس الوحشيون فاهلكوا عسكري وقتلوني فلما قرأ اسكندر الكتابة امران يتوج ذلك التمثال بتاج ثم ستر العامود كله وغطاه حتى لايقرأ احد تلك الكتابة وقال لعسكره يخطر لي ان قدامنا موضعًا حسنًا بهجًا وارتحل

من هناك وسار يومين فوصل الى جبل عظيم شامخ فراى اناسًا منظرهم وحشي هائل بطول غير اعتيادي وشعورهم خشنة وكانوا ينظرون الى العسكر نظرًا شرسًا وحشيًا لا يولون ولا يهربون البتة فتقدم اسكندر اليهم وجاز فيما بينهم فخاف وعرف انهم هم الناس الوحشيون الذين قتلوا صوصوخوس الملك فامر ان يتسلح العسكر ويستعد للحرب وجعل امامهُ حراسًا وارسل اليهم امرأةً فلما اقتربت منهم امسكها احدهم وهمَّ ان ياكلها فصرخت فاسرع اليها قوم من العسكر وخطفوها من يديهِ وقتلوهُ بطعن الرماح فصرخ شديدًا فسمع صراخهُ الناس الوحشيون فاتوا الى عسكر اسكندر بعدد كالرمل واخذوا يطاردونهُ بخشب وحجارة فهزموهم الى خيام اسكندر اما انطيوخس فكان مستترًا في غابةٍ في ناحيةٍ ومعهُ اربعمائة الف وبطلوماوس في ناحية اخرى في ثلاثمائة الف فانطبقا عليهم وتشدد حينئذٍ اسكندر وارسل وزيرًا اخر يقال لهُ سطوطوخونس من ناحية اخرى وحاط بهم واهلكوا منهم خلقًا كثيرًا وامسكوا صبيًا عمرهُ عشر سنين وكان في قامة الناس القاطنين في نصف الارض وكان لهم عادة بان كل من جرِح منهم وسال دمهُ هجموا عليهِ واكلوهُ وفي الغد احصى اسكندر القتلى من عسكرهِ فوجدهم اثني عشر الفًا حينئذٍ تذمر عليهِ رؤساؤهُ وعظماؤهُ قائلين ها نحن نموت في هذه الارض المتوحشة التي لم نقف لها على حد ولم نعرف لها نهاية وقد ملكنا العالم واستحوذنا على الارض فلم نقنع بذلك ولم يدعنا الطمع ان نموت في ارضنا بل اتينا لنهلك ههنا في هذه المهاوي فحزن اسكندر جدًا وقال يا احبائي وعظمائي وشجعان مملكتي لست آثر ان احزنكم بل اطلب اليكم ان تمدوني بعونكم وقوتكم اياما قليلة لاننا قد ملكنا المسكونة ووصلنا الى طرف الارض وابدنا الناس الوحشيين وعما قليلٍ نستريح من هذه الحروب ونرجع الى ارضنا ثم ارتحل اسكندر من هناك واتى الى مكان فيهِ مياه عذبة عظيمة مملوء اثمارًا عجيبة شهية متعددة الاشكال ووجد عمودين من ذهب مصور على احدهما صورة

الملك ايراكليوس وعلى الثاني صورة امرأتهِ الملكة اوميراس فلما وصل اسكندر الى ذينك العمودين ونظر الصورتين تنهد وقال ايها العظيم الشان والشديد الباس الملك ايراكليوس كيف حينما وصلت الى هذا المكان البهج شربت كاس المنون ورأى اسكندر حياضًا مملوةً ذهبًا ولؤلؤًا ثمينًا ثم امر ان يستريح العسكر ستة ايام ثم ارتحل وسار عشرة ايام فوجد اناسًا غريبي الشكل فاستعدوا للمحاربة اسكندر فقتل منهم كثيرين وقبض على كثيرين احياء لظنهِ انهُ ياتي بهم الى ارض مكدونيا وحيث لم يعرف المكدونيون ماهو طعامهم ماتوا كلهم في الطريق وارتحل من هناك وسار عشرة ايام حتى وصل الى شاطىء البحر فعسكروا ليستريحوا فمات فرس بعض الجند فجره الى حافة البحر فخرج من البحر حيوان عظيم كالخروف الكبير واكل من لحم الفرس الميت فخرج غيره وكثروا وكانوا يخطفون الخيل وياكلونها فبلغ اسكندر ذلك فامر ان توقد نارٌ في ناحية البحر فلما ارتفع لهيبها احترق اكثرهم واختفوا ثم ارتحل من هناك على شاطي البحر واتى الى موضع بهج فيهِ اشجارٌ واغراس كثيرة الانواع وانهار شتى فامر ان يستريح العسكر فنظر في المراة الساعية التي اعطاه اياها معلمهُ ارسطوطاليس الفيلسوف وكان ينظر بها الامور البعيدة كانها حاضرة بين يديه فرأى جزيرة في وسط البحر فامر ان تبنى سفن صغار فقال لهُ انطيوخوس يا اسكندر الا تصبر كي اذهب انا قدامك اولاً لئلا يصادفك شيء من المضادات وتهلك وفيما بعد تتبعني اجابهُ اسكندر يا خليلي انطيوخوس ان صادفك شيء من الملمات فمن يسليني عنك قال ان فقدت انا فتجد كثيرين مثلي تقيمهم رؤساء ولكن ان مت انت فاي اسكندر اخر اجد عوضك وركب انطيوخوس السفن وعبر البحر حتى وصل الى الجزيرة المذكورة فلما رآهُ اهلها اسرعوا وسجدوا لهُ ثم عظموا اسكندر ودعوا لهُ وسموه ملك المسكونة وقالوا لانطيوخوس لماذا اتيت الى هاهنا الا ترانا

عراة وعيشتنا من اطراف الشجر فماذا عساك ان تاخذ منا فصمت ثم ارسل السفن لاسكندر فركبها حتى دخل الجزيرة فخرجوا كلهم وسجدوا له ووقفوا امامهُ عراة فاشفق عليهم وقال لهم لم نات لناخذ منكم شيئًا البتة وانما اتينا لننظركم فاسالكم ان تخبروني كيف عرفتم اسمي ولم تنظروني قط وكيف تحسنون التكلم باللغة اليونانية وانتم في هذا الموضع اجابوه اننا منذ سنين عديدة علمنا بامرك وانك مزمع ان تاتي الى هنا الم ترَ ذينك العامودين اللذين من ذهب فهذان قد نصبهما ابراكليوس الملك . ونحن كنا معهُ من عساكره وهو الذي اتى بنا الى هنا ولما اخذنا نزني ونسرق ونقتل ونسكر ونحسد الناس ونحسد بعضنا بعضًا ونمرح في عمل الخطايا المهلكة سلط الله علينا الناس الوحشيين فخرجوا علينا واهلكوا اكثرنا فلما راى الملك ذلك اخذنا واتى بنا الى هذه الحدود الى ان توفي فبقينا عند العامودين بعد موتهِ بغير راس ولبثنا نرتكب الخطايا التي كنا نفعلها من قبل فدهمنا الناس الوحشيون ايضًا واهلكوا اكثرنا ونحن الذين بقينا بالحيوة ركبنا سفنًا وقطعنا البحر حتى اتينا الى هذه الجزيرة وحرقنا السفن لئلا يعود احدنا الى العالم الخاطي ومن ذلك الوقت رجعنا الى الله وها نحن نعيش على اطراف الشجر وكلنا فلاسفة وعلماء وحكما فاختر لك منا من شئت لتدبير ملكك لانك مزمع ان تختار اماكن مجهولة فاندهل اسكندر منهم وعجب من كلامهم وتنهد وقال مغبوط هو ذلك الانسان الذي يقبل من الله العلم الحقيقي ثم مدح الفلاسفة والعلماء قائلاً لا اجل ولا اكرم من الفلسفة لان الرجل الفيلسوف صائب في جميع آرائهِ واما الجاهل فاعمى والعلم افضل من الذهب والجواهر لان العالم يخلص شعبهُ والجاهل يهلك قبيلته . ثم اختار منهم ستة فلاسفة علما جدًا وذهب بهم الى عسكره وسالهم ماذا تقولون هل امامنا شيء من الحروب قالوا لا شيء ههنا من الحروب ولكن في البحر المحيط جزر عديدة منها جزيرة الطوبانيين وهم من اولياء الله وعقولهم متحدة بهِ

وهم عرايا راسًا فسال اسكندر كيف سكنوا تلك الجزيرة اجابوه من عصر آدم عليهِ السلام لما كان في الفردوس وخالف وصية الله واكل من الثمر الذي نهاه عنهُ فاخرجهُ من الفردوس واتي بهِ الى تلك الجزيرة مقابل الفردوس فسكنها مائة سنة وكان دائمًا يكثر نظره الى الفردوس فينوح ويبكي متحسرًا ومتذكرًا الموضع الذي خسره والى اي حال صار وفي تلك الجزيرة نفسها ولد هابيل وقايين فحسد قايين هابيل واكمن لهُ البغضاء حتى قتلهُ فبكى آدم على هابيل وتجدد حزنهُ مع حوا امرأتهِ لانهُ اضاع جمال الفردوس الشهي وخصوصًا لانهُ فقد ولده هابيل وكانت اعين ادم وامرأتهِ حواء تسكب الدموع مدة سكناه في تلك الجزيرة

فلما رأى الله تعالى شدة حزنهِ وعظم حسرتهِ رق لهُ ورحمهُ وارسل الهِ ملكًا يسليهِ قائلاً لماذا تبكي يا ادم اعلم انني خلقتك من التراب وانت تعود الى التراب ولا بد من ورودك كاس الموت انت ونسلك من بعدك الى يوم القيامة فادفنوا هابيل وانا امنحكم عوضهُ غلامًا اخر سموه شيتًا وهذا يكون مختارًا لمرضاني واما انت يا ادم فاخرج من هذه الجزيرة لانك ما دمت ههنا ناظرًا الى الفردوس لاتزال متحسرًا لان ليس لك اليهِ من مرجع فاذهب الى الارض الواسعة واسكن هناك ثم ارتحل بنو شيث بعد موتهِ وذهبوا الى الارض الواسعة ولم يوثروا العود الى الجزيرة ومن بقي منهم ههنا تناسلوا الى هذا اليوم وهولاء الذين يقال لهم الطوبانيون فسال اسكندر الفلاسفة وقال اهدوني الطريق كي نذهب الى جزيرة الطوبانيين فاهدوه فارتحل بجيشهِ وسار ستة ايام فوصل الى متن جبل شامخ فصعدوا اليهِ ونصب اسكندر عامودًا شاهقًا على قمتهِ وصور صورتهُ عليهِ وسيف في يده مشيرًا الى الطوبانيين ومضى من هناك ثمانية ايام فوصل الى ارض ذات مياه مخيفة موحشة تسمع فيها اصوات هائلة وعويل وانين متصل وراى هناك سبع بحيرات عظيمة كان فيها حيات تصفر وضروب من المهاوي والمهالك فلم يجسر اسكندر

ولا اصحابهُ على الدنو من تلك البحيرات ومشى يومين فوصل الى البحر المحيط ورأى عن بعد جزيرة الطوبانيين فدخلها وكانت مزينة بجميع الغروس والاشجار شبه الفردوس وجميع اجناس الطيور فيها معششة وكل طير يصدح بانغامهِ ومن ذا الذي يصف جمالها الرائق وتلك الاشجار التي يستظل تحتها اهل تلك الجزيرة وكان يخرج من اصول تلك الاشجار مياه غزيرة باردة كالجليد . فلما دخلها اسكندر استقبلهُ انسان من اولئك الطوبانيين فكلمهُ اسكندر وقال السلام لك يا اخي فاجابهُ الطوباوي السلام والمحبة لك يا اسكندر الجميل في الملوك فاحب اسكندر ان يحدثهُ فابى وقال اذهب الى عظيمنا والمتقدم فينا ايقانين والى الشيوخ الموقرين فهم يخبرونك عن كلما تسالهم واطلب منك الصفح والعفو

فذهب اسكندر الى داخل الجزيرة واذا بأُناسٍ كثيرين اتوا ليستقبلوه وكلهم قبلوه ودعوا لهُ فعجب اسكندر من ذلك واندهل متحيرًا وظنهم الهة لا بشرًا وذهبوا الى ملكهم ايقانين وكان متكئًا تحت شجرة حسنة عجيبة فلما قرب اسكندر منهُ وراهُ قال لهُ ذلك الملك لماذا اقبلت يا اسكندر واتيت من عالمكم الباطل الى هنا ثم امسكهُ بيده وقال لهُ اجلس بالقرب مني فجلس فوضع ايقانين يدهُ على راس اسكندر وقبلهُ وخاطبهُ قائلاً افرح يا ملك الارض وهام المسكونة لانك مزمع ان تدوس العالم واذا كمل ذلك جميعهُ فحينئذٍ تجرع كاس الموت . فلما سمع اسكندر عن امر الموت تنهد وبكى وقال يا ايقانين الا يوجد طريق للهرب من الموت . قال هذا غير ممكن لان كاس الموت هو سلب حياة الدنيا وابدالها بالحياة الفضلى الخالدة التي لا يعقبها موت ولا يخامرها هم ولا حزن ولا شقاء مع جماعة خالدين تفوق سعادتهم عقول البشر فسكت اسكندر ولم ينطق بل اطرق الى الارض متفكرًا في سيرة اولئك وفلسفتهم العالية ثم قال اسكندر لايقانين ان امرت فنحضر شيئًا من طعام ارضنا و بلادنا اجابهُ هات لنا فالتفت اسكندر الى

انطيوخس وقال لهُ احضر لنا خبزًا سميذًا وخمرًا عتيقًا جيدًا فاحضر لهُ فقدمهُ اسكندر لايقانين ملك الطوبانيين فلم يقبلهُ ولا ذاق منهُ شيئًا وقال ليس هو من ماكلنا بل هو مما تاكلونهُ انتم اما انا فماكلي من اطراف هذه الشجر التي تنظرونها واشرب من هذا الماء الجاري وملبوسي من اوراق النبات كما ترى لان الانسان من الارض والى الارض يعود . واما عقولنا فتنظر الى الله تعالى ليلاً ونهارًا ومنهُ نؤمل الحيوة في ذلك العالم العتيد متوقعين من قبلهِ المعونة كل ساعة . اما عيشتنا فهي نقية و بسيطة واذا توفي احدنا تذهب روحه الى مكان الراحة الى ابد الدهر لنمجد الضابط الكل خالق السماوات والارض والبحر وكل ما فيها والكل بهِ يحيون وكل ما شاء صنع لهُ نسبح ولهُ نسجد واياهُ نمجد شاكرين . فتأثر اسكندر من هذا الكلام وتنهد وقال حقًا ان حياتكم وموتكم مملوآن من كل مسرة وسال اسكندر ايقانين كيف اتيتم الى ههنا . قال اعلم اننا من نسل ادم وحوا ولما طرد جدنا ادم من عدن الى هذه الجزيرة لم يمكنهُ المقام فيها لفرط الحزن والبكاء المتراكم عليهِ لكونه اضاع جمال الفردوس بسبب هابيل الذي قتلهُ قايين فخرج الى الارض الواسعة واما نحن نسل شيت فاقمنا هنا وذهب قوم منا ولم يوثروا العودة الى هنا فبقينا نحن وحدنا اما الساكنون في العالم الخاطي فيزنون و يفسقون ويحسدون و يقتلون ويغضبون و يفرحون بسفك الدماء ويختصمون ويرتكبون ضروب الارتكابات منعكفين على محبة اللذة الباطلة و يفتخرون في ذلك و يعاندون الله تعالى بهذه القبائح والشراهة والسكر والتانق في الماكل والمشارب وجمع الفضة والذهب واذخار الذخائر فلذلك يفاجئهم الموت بغتةً ويخطفهم خطفًا و يذهبون الى عذاب اليم ولا مناص لهم من العقوبات التي اعدت للعصاة واما نحن فها هي الجزيرة امامك طف بها كلها فانك لا ترى انسانًا واحدًا منعكفًا على المنكرات التي ذكرناها لك. قال اسكندر ان جميع ما قلتهُ حسن ولكن اخبرني كيف تتكاثرون هنا

بغير نساء اجابهُ ايقانين ان لنا نساء الّا انهنَّ لسنا معنا ههنا بل هنَّ بعيدات في جزيرة اخرى وكل سنة نذهب ونمكث معهن شهرًا واحدًا ثم نعود الى هنا فاذا ولدت امرأَة منهنَّ ولدًا ذكرًا يمكث مع امهِ ثلاث سنين ثم ناتي بهِ الى هنا واذا كانت انثى فتدوم مع امها بين النساء. قال اسكندر احب ان اذهب الى تلك الجزيرة التي فيها النساء لاعرف كيف هي اجابهُ اذهب ولكن الى داخل السور لايمكنك ان تعبر لانك ان دخلت فلايمكنك ان تعيش فيما بعد. ثم ان اسكندر نهض واخذ ايقانين وذهب طالبًا جزيرة النساء ودخل اليها فرأَى سورًا من نحاس حول الجزيرة فصدق كلام الملك ايقانين ولم يتجاسر ان يدخل داخل السور بل دار حولهُ من خارج واما كيف تصرف اولئك النساء الذين كانوا في تلك الجزيرة وكيف كانت عيشتهم فلم يطلع عليهِ احد من الناس الا الله تعالى. فامر اسكندر ان ينصب عمودٌ عظيم شاهق وتكتب عليهِ كتابةٌ بالذهب لاتفنى باللغة اليونانية هكذا. انا اسكندر ملكت الارض كلها حتى انيت هذه الجزيرة ورأَيتها وطلبت ان اجد هنا الهة اليونانيين فلم ارَهم فقلت انهم محبوسون في الجحيم وايضًا ايقانين ملك الطوبانيين كشف لي الحق وقال ان الهة اليونانيين محبوسون في العذاب مع رئيس الشياطين ومعاقبون معهم في الجحيم بامر الله القادر على كل شيء فمن اتى بعدي من الملوك الى هذه الجزيرة فليعلم انهُ لايقدر ان يدخل داخل السور لان لا احد يعلم ما داخل السور الا الله وحده. ثم عاد اسكندر وسال ايقانين قائلاً ايها العريان المغبوط الجزيل الفطنة والحكمة اخبرني ما عسى ان يكون قدامنا قال ليس امامك الا البحر المحيط بكل الارض وجميع مياه المسكونة الجارية تصب فيهِ وتجتمع اليهِ واما هذا الجبل المرتفع جدًا الذي تراهُ بعيدًا امامك ففيهِ اشجار واغراس شهية وهو الذي تسمونهُ انتم ارض عدن وشرقي هذا الجبل الفردوس الذي نصبهُ الله نحو المشرق ومن هناك طُرِد ادم وحواء. فقال اسكندر لعلي اقدر ان

اذهب فانظره قال لا يستطيع انسان لابس هذا الجسد الترابي الذهاب الى هناك لان هناك جبلاً عظيماً هائلاً وحائطًا يلمع كالبرق الساطع حول الفردوس مبنيًا شرافات وهناك كاروبيم بستة اجنحة حاملاً سيفًا ناريًا مجردًا ملتهبًا يحرس الموضع. فاذهب يا اسكندر من حيث اتيت اذ لا تقدر ان تدخل الفردوس لان منهُ تخرج اربعة انهر عظيمة جدًا وتدفق ماؤُها على المسكونة فقال اسكندر لولا خوفي على عسكر المكدونيين وشفقتي عليهم لئلا يهلكوا في هذه الارض بغير راس لتركت مملكتي واقمت معكم الان حتى اموت لكي اكون قريبًا من الفردوس واعيش عيشة سماوية الى يوم القيامة. ثم ودع اسكندر ايقانين ملك الطوبانيين فباركهُ وقال لهُ اذهب يا اسكندر بسلام من عندنا وانت مزمع ان تملك المسكونة واذا كمل هذا كلهُ تعود الى الارض التي أُخذت منها. ولما خرج اسكندر من الجزيرة ودعوه وشيعوهُ بسلام فذهب الى العسكر واخبرهم بكل ما جرى لهُ وما عاين من العجائب وارتحل من هناك طالبًا الجهة الجنوبية من الارض وسار عشرة ايام فوصل الى ارض ذات مياه وكان سهلها عريضًا جدًا فلم يمكنهُ ان يعبر من هناك. فامر ان تبنى قنطرة متينة وعبر العسكر على تلك القنطرة الى الجهة الاخرى ثم كتب على القنطرة باللغة الرومية انا اسكندر ملك المسكونة اتيت الى طرف الارض ورايت اخرها واتيت الى هنا و بنيت هذه القنطرة وعبرت عليها بجيشي. ثم ارتحل من هناك وسار اربعة ايام فوصل الى ارض الظلام التي ليس فيها نار ولا ضوء فامر ان ياتوهُ بخيل اناث لهنَّ اولاد فعقل اولادهنَّ واخذ الامهات معهُ ومشى في ارض الظلام والخيل امامهم وامر انطيوخس ان ينادي في العسكر قائلاً لينزل كل انسان عن فرسهِ وياخذ من تراب تلك الارض المظلمة ما امكنهُ حملهُ فكل من سمع المناداة واخذ منهُ فرح بهِ اخيرًا ومن لم ياخذ منهُ ندم لان تراب تلك الارض كان كلهُ معادن وحجارة جزيلة الثمن جدًا وفي ليلة قطع ارض الظلام ومن

هناك مضى اربعة ايام فاستقبلهُ طيران بلونٍ ابيض ووجهٍ كوجه الانسان انيسان جداً فكلماهُ قائلين يا اسكندر لماذا تعاندالله وتضادهُ في هذه البرية ارجع واطلب طرف ارض الهند لتحارب بورس لانهُ منتظر مجيئك وانت مزمع ان تهدم قوة عساكره وتقتلهُ. فاقصد ناحية الجنوب لانك سوف ترى عجائب كثيرة فارتحل من هناك ومشى ستة ايام الى ان وصل الى بركة ماء عظيمة فنزلوا هناك ليستريحوا فاخذ الطباخون يهيئون الطعام لاسكندر وكان معهم سمك مكبوس بملح فاخرجوا منهُ يسيراً ووضعوه على حافة تلك البركة في الماء لكي ينحلّ عنهُ الملح فلما احس السمك بالماء عاش للوقت وهرب الى داخل البركة قدام اعين الناظرين فلما بلغ اسكندر ذلك ارتعد وتحير هو ومن معهُ فادخلوا الخيل وغاصوا في تلك البركة فكل من كان فيهِ ضعف او جرح من الناس او الخيل برئ ثم ارتحل من هناك وسار يومين فاتى بحيرة اخرى كانت باردة وحلوة فنزل اسكندر الى حافة البركة لكي يغتسل فوثب عليهِ حوت عظيم اراد ان يبتلعهُ فهرب منهُ وخرج الى البر فقفز الحوت من الماء الى البر ليلحقهُ ويبتلعهُ فلما راه وثب على ظهره وركبهُ وامسكهُ فلما شقوا جوفهُ وجدوا في قلبهِ درة عظيمة بقدر بيضة الاوز وكانت تلمع كالنجم فوضعها في رمحهِ وكانت في الليل تضيءُ على الراية. وفي تلك الليلة خرج من البحيرة نساء حسنات الصور كنَّ يمشينَ حول عسكر اسكندر ويغنينَ غناء مطرباً حتى تحير المكدونيون من ذلك وارتحل من هناك وسار ستة ايام وانتهى الى موضع فيهِ احراش كثيرة فخرج عليهم من تلك الاحراش اناسٌ بصورٍ عجيبة ولم يكونوا يعرفون من الات الحرب الا القوس والنشاب وكان في روؤس نشابهم عوض نصل البولاد حجر الماس. فلما راهم اسكندر عجب وقال لاصحابهِ لنتحيل على هولاء ونمسك منهم قوماً نرسلهم الى ارضنا فامر ان تحفر خنادق عميقة ثم تغطى بقصب واغصان وقليل من التراب وهمّ المكدونيون كانهم يريدون حربهم . ولما

كان القوم لا يعرفون مكر اسكندر هجموا ليحاربوه فوقع اكثرهم في الخنادق فهجم عليهم المكدونيون وقتلوا منهم اثني عشر الفاً وامسكوا ستة الاف احياء واخضعوهم لاسكندر وكانوا سريعين في الركض حتى لم يفلت شيء من ايديهم فعمل لهم اسكندر اسلحة ومرنهم في استعمالها وعلمهم طريقة الهجوم في الحرب وحين عزم على العود الى موطنهِ هبت ريح باردة فلم يطيقوا البرد فماتوا عن اخرهم ثم ارتحل اسكندر من تلك الارض الوعرة وذهب مسيرة مائة يوم حتى انتهى الى مدينة الشمس فمضى الى الهيكل وسجد هناك فراى كتابة مكتوبة تخبره عن موتهِ ومن هناك ارتحل وسار الى حدود الهند فلما وصل جلس ليستريح في بقعة وكان لهُ ستة اشهر حزيناً لم يضحك منذ اخبره الحكماء عن موتهِ فعند وصولهِ الى حدود الهند ابتهج مسروراً

الفصل الخامس والعشرون

فلما سمع بورس ملك الهند ان اسكندر قد وصل الى حدوده بجيش عظيم بعث اليهِ برسالة يقول فيها من بورس ملك الهند العظيم المرتفع جداً الملك المعادل لله الى اسكندر ملك مكدونية انني سمعت بقتلك داريوس سلطان فارس وانك تعظمت كثيراً ومن جهلك اتيت الى هذه الارض لتهلك . واعلم انهُ لم يتجاسر قط احد من الملوك ان يطا حدودي لان هيبتي وسطوتي وسلطاني على العالم كله وجميع الامم التي تحت السماء مع ملوكهم لا تقدر ان تقوم امام وجهي وحسبك انك بجهلك وفدت الى هذه الاصقاع الغريبة فتضرع اليَّ واطلب العفو لكي اسامحك عن جهلك هذا وارفع يدك عن جميع المواضع التي اخذتها وارسل لنا الخراج واذهب الى مكدونية لكي تحيا نفسك وان عصيتني فكل اهل مكدونية لا تنجيك من يدي فلما قرأ اسكندر رسالة بورس كتب لهُ هكذا« من اسكندر

سلطان الملوك لا بقوتي ولا بسلطاني لكن بقوة الاله الضابط الكل الى بورس الهندى العديم البصيرة واللب ذكرت في رسالتك اني قتلت داريوس ملك الفرس وان موتهُ جعلني اتعظم وارتفع فاعلم ان داريوس كان يتعظم و يدعو ذاتهُ الهًا كما تدعي انت اليوم فها انا احطمكم بقوة الاله الاعظم . واذكر انك حين ارسلت الى داريوس عساكر كثيرة لمعونتهِ هلكوا بحد سيوف المكدونيين ولم تقدر سلطنتك ان تعينهُ وانا وافد اليك سريعًا بقوة الاله الاعظم ولست آتيًا كالهٍ بل كانسان اما انت فتجاسرت ان تدعو ذاتك الهًا لانك غير عالم بقوة الاله وسلطانهِ فهلمَّ الان بكل قوتك واصطف امامي للقتال وكلما كثر عسكرك تتزايد قوة عساكري و يتقوون عليكم كالاسود وانا لست اطاردك في ارض بعيدة بل ههنا في نفس الهند وساقتلك وابيد ذكرك وامسكك حيًّا وابعث بك الى الهتك في مكدونيا لانهم محبوسون عندنا في طرطوس الجحيم السفلى ليعاقبوا على اغتصابهم . فالى هناك مزمع ان تصير على ما اخبرني ايقانين ملك الطوبانيين وحسبك ان تحكم بلادك

الفصل السادس والعشرون

ثم ان اسكندر كتب رسالة وارسلها الى امهِ الملكة اوليمبياده ومعلمهِ ارسطوطاليس الحكيم الكبير يعرفهما بجميع الحروب والاتعاب التي قاساها و بكل المواضع التي جازبها وعن الملوك الذين باطشهم وقتلهم والجزر التي ذهب اليها وعن جزيرة الطوبانيين وكل العجائب التي شاهدها الى ان انتهى الى ارض الهند و يستعلم عن احوال مملكة مكدونية واما بورس ملك الهند فانهُ جمع عساكر كثيرة جدًّا نحو خمسين كرة وكان عندهُ عشرة الاف سبع كلها مضمرة ومعدة للحرب فلما سمع عسكر المكدونيين والفرس الذين معهم بكثرة عساكر بورس وتلك السباع الضارية ارتاعوا وجزعوا

وتشاوروا فيما بينهم ان يسلموا اسكندر الى يد بورس ملك الهند لكي ينجوا بانفسهم و يذهبوا الى مكدونية فسمع بطلوماوس وزير اسكندر بهذا الراي فاتى للوقت واخبرهُ بذلك فجمع اسكندر وجوه عساكره والقواد وجميع الوزراء وخاطبهم قائلاً يا اخوتي واحبابي وشجعان مكدونية وابطالها المكرمين الشهيرين في ركوب الخيل والموشحين بالحلل الذهبية انتم تعلمون ان الله قد سلم كل العالم الى يدنا وانا باطشنا كل سكان الارض وضربنا ملوكها وقتلناهم بحد السيف بساعدكم المنيع . واليوم اراكم جزعتم من هولاء الجنود الجبناء المنحطمين الخائفين في الحرب فان كانت قد تغيرت قلوبكم عن محبتي ومحبتكم خلت من قلبي ولا تريدونني ان اكون لكم ملكًا اليوم فاقتلوني الان بايديكم ان كنتم تعلمون ان لكم في هذا خيرًا من بورس الهندي و يحسن اليكم ولا يضر بكم عند فقدي من بينكم فانا من ذاتي اذهب واسلم نفسي في يديهِ فداءً عنكم ولكن اعلموا يا اخوتي ان فقدتم اسكندر فلا تظنوا ان احدًا منكم يرى ارض مكدونية بل تؤسرون وتستعبدون في هذه الارض الغريبة . وانتم تعلمون بانكم لم ترتاحوا في زمان حتى ولا في زمان ابي نظير زماني الان وانا عالم ان فقدت من وسطكم فكلكم مزمعون ان تهلكوا في هذه الارض وان كان رايكم هكذا فانا وحدي اذهب واقاتل بورس ملك الهند فان اعانني الله وغلبتهُ فلي بذلك اسم عظيم بانني ملكت الهند وحدي وان قتلني هو فكلكم تهلكون هنا . فلما سمع المكدونيون قول اسكندر تالمت قلوبهم و بكوا بكاءً شديدًا وتقدموا فخاطبوه قائلين ايها الملك العجيب اسكندر ذا السعد الاكبر خير لنا ان نموت كلنا معك و بين يديك من ان نعيش مع غيرك امدًا مديدًا . لكن اعلم ان هذه المكيدة لم تكن منا نحن المكدونيين بل هي من اهل فارس لانهم جزعوا لما راوا عساكر الهند ☆ وعما قليل كادوا يخوفوننا ☆ واما اهل الهند فقد عرفونا من قبل الان حين ساروا لمعونة داريوس اذ اوقعناهم في ارض فارس وانت

تعلم ايها الملك اسكندر ان اهل فارس جزعون كاهل الهند لما انهم جيران لهم * فلما سمع اسكندر هذا غضب غضباً شديداً وامر ان ينزعوا عن اهل فارس لباس الحرب و يلبسوهم لباس النساء ويضعوا على رؤوسهم مناديل واستعد اسكندر لقتال بورس ملك الهند واصطف العسكر للحرب ولبسوا سلاح القتال واحصى اسكندر عسكره فوجد الشجعان المقاتلين ستة الاف الف

وكتب رسالة الى فولونيوس وزيره الذي خوله الرياسة في مكانهِ قائلاً من سلطان الملوك اسكندر الى وزيري العزيز فولونيوس بسلفكيه اعلم اننا اخذنا الارض بسلام من غير ضرر يلحقنا والان عزمنا ان نقاتل بورس ملك الهند فحال وصول الرسالة اليك اسرع واجمع لنا عسكراً من ارض المغرب كلها وهلمَّ بهم الى الهند حيث نحن مجيشون لاننا في انتظارك وذهب اسكندر الى محاربة بورُس وعسكر امامهُ فلما رآهُ بورُس اطلق عليهِ عشرة الاف من السباع الكاسرة فاطلق اسكندر على السباع اربعة عشر الفاً من الجاموس البري والثيران الوحشية فلم تثبت السباع امامها لانها لا تطيق الجاموس البتة ورجعت السباع مضرجة بالدماء وقسم اسكندر عسكرهُ ثلاثة اقسام وضربت النقارات واشتد صوت النفير وعلا الصراخ من الجانبين والتقى العسكران وعقد الحرب بينهما واستعرت نارهُ فقتل من عسكر بورس مائتا الف رجل ومن المكدونيين ستة الاف وخمسمائة وداموا في القتال من الفجر الى الزوال فلما رأى بورس ذلك اسرع ودخل خيمتهُ وجمع وجوه قومهِ ليستشيرهم فلما اجتمعوا قال لهم يا احبائي الاعزاء ان المكدونيين قد قتلوا منا مقتلة عظيمة وخسّرونا خسارةً جسيمة فابدوا ما عندكم من الراي فقالوا لهُ ايها الملك العظيم لا ترسل مذ الان رجالاً يحاربونهم بل اطلق الفيلة عليهم . فرتب بورُس مائة الف فيل وجعلوا على ظهر كل فيل نظير برج ووضعوا في كل برج عشرين مقاتلاً

متسلحين واطلقوهم على عسكر المكدونيين واشتبك الحرب وصادمهم اسكندر برجالهِ وامر الخيالة من عسكره ان يعلق كلٌّ منهم على فرسهِ جرساً كبيراً لان الفيلة تهرب عند استماع صوت الاجراس القوية ففعل اصحاب اسكندر كما امرهم ثم امر تسعين الفاً من المشاة ان يرافقوا الخيالة واعطاهم سكاكين عريضة وامرهم ان يدخلوا بين الفيلة ويقطعوا ارجلها . فلما هجمت الفيلة كلها والتحمت بعسكر اسكندر سمعت صوت الاجراس فانقلبت راجعة وهربت مولية وكانت المشاة تقطع ارجلها وفي هربها رمت من كان على ظهورها فانكسر عسكر الهند وانقلبوا راجعين الى بورس فتبعهم اسكندر وحاط بهم من كل ناحية وقتل منهم مقتلة عظيمة . ولم يزل المكدونيون مشتغلين في ذبحهم الى ان طرحوا منهم اربعمائة الف وقتل من عسكر المكدونيين اثنا عشر الفاً . ثم اسرع اسكندر بجيشهِ الى نهر الفيون وعبرهُ الى الجهة الاخرى وهذا النهر كان يعسر العبور فيهِ دون قوارب واما بورُس فكان واقفاً في تلك الناحية واسكندر في هذه الجهة حتى ان كلاً من الفريقين كان ينظر الاخر وبعد ستة ايام وصل فولونيوس من بلد فارس بعساكر لا تعد لمساعدة اسكندر ومعهُ مائة الف من الخيل المنتخبة ومائة الف جمل للحمل واتى لهُ بوشاحٍ ملوكيٍّ ثمين جداً وتاج من عند زوجتهِ روكسندرة والف جمل اخرى محملة ذهباً فوقف فولونيوس وقال لاسكندر ياسيدي وسيد المسكونة السامي المقام لا يليق بك ان تقف بازاء بورُس الهندي وجهاً لوجه فمن هو بورُس بالنسبة الى ارتفاع مجدك . فعليك ان تدهمهُ بالعجل وتقاتلهُ لانهُ لما يراك واقفاً يتقوى هو وقومهُ فعساكرنا قوية ولا يحصي عددها فنكسرهُ بقوة الاله . ففرح اسكندر فرحاً شديداً لما سمع كلام فولونيوس واما المكدونيون فلما راوا فولونيوس قد وفد ومعهُ تلك العساكر الكثيرة تشجعوا جداً . واما الهنود فوقع في قلوبهم الرعب فقال فولونيوس لاسكندر ارسلني لاذهب واقاتل بورُس فان عسكري مستريح فاجابهُ ان

عسكر بورُس كثيرٌ جداً ولا يقعون تحت احصاء والنهر الذي بيننا لا تقدر الخيل ان تعبرهُ اجاب فولونيوس ان قوة المكدونيين لاتتزعزع وساعدهم شديد وخيلنا لا يصدها نهر ولا جبل. فهوذا انا ماضٍ لقتال بورُس بسعدك الرفيع ودعاك يا اسكندر لانهُ لايليق بك ان تقاتل بورُس وكم من الملوك الذين سقطوا تحت رجليك فانا الزم بهِ اذ انهُ جاري وهو يسود الهند وانا اسود العجم بعزك فاجابهُ اسكندر افعل ما تشاء يافولونيوس ثم اعطاه من عسكره عشر كرات وكان فولونيوس قد احضر معهُ تسعين كرة فذهب لمقاتلة بورس وامر ان كلاً من الخيالة يحمل واحداً من المشاة حاملي السيف والترس فقط ليعبروا النهر ففعلوا كذلك وعبر المشاة الى الناحية الثانية من النهر اما بورس فكان جالساً يتناول الطعام واذا بفولونيوس قد ادركهُ بجيشهِ ووقف مقابلهُ والتقى العسكران وعقد الحرب بين اصحاب فولونيوس وعساكر الهند وكان المكدونيون يوقعون بالهنديين ذبحاً وطعناً الى ان قتل منهم مقتلة عظيمة وانصبغت الارض بدماهم فلما راى اسكندر فولونيوس وشجاعتهُ عجب جداً وتحير من ذلك وامر بالحال ان يتسلح عسكرهُ ودخل هو ايضاً بين عسكر الهند من ناحيةٍ اخرى وعمل كما عمل فولونيوس واما عساكر الهند فقاتلوا قتالاً شديداً الى ان انكسروا واخذوا يولون منهزمين وكان اسكندر من خلفهم يبادرهم بطعن الرماح والنشاب واعملوا فيهم السيف فوقع من عسكر اسكندر ثلاثة عشر الفًا وقتل من عسكر بورس ما ينوف على عشر كرات والبقية هربوا واستخفوا ولم يبقَ الاَّ القليل. واما بورُس فولى هارباً مولولاً وقائلاً ويلي كيف سقطت شجعاني وعظمائي ذوو الشان الرفيع وكيف تساقط مقدمو ارض الهند ومقتدر وها كيف لم يجزع المكدونيون من قوة عساكر الهند الهائلة وكثرتهم بل حطمونا واتوا فدخلوا ارضي ووطئوا بلادي وابادوا عسكري حتى ان نهر الفيوس لم يصدهم واما اسكندر فانهُ وصل الى منزل

بورُس الهندي وداس خيمته وارسل قومًا من اصحابهِ لينهبوا اراضي الهند ويسبوا نساها ويخربوا تلك الديار. واما بورس فانهُ انهزم حتى وصل الى مدينة الشمس الحصينة التي هي تحت الهند الاقصى وجلس على كرسيهِ وارسل رسائل كثيرة الى الملوك الذين حوله والقبائل المحيطين بمملكتهِ والمجاورين لهُ ما لها اعلموا يا اخوتي ورفاقي انهُ قد دهمنا البلاء والعطب بغتة وهو ان اسكندر المكدوني قد تغلب على المسكونة واخذها وقتل داريوس سلطان العجم العظيم الشان واتى الينا ليحاربنا ويخرجنا من ارضنا فقاتلناه ثلاث دفعات وانكسرنا من امام وجههِ. وافنى كل شجعان الهند ورجال الحرب بحد السيف حتى ان نهر الفيوس العظيم الذي لا يعبر قد عبره على الخيل وارسل قومه واصحابه لينهبوا بلادي ويسبوا اهلها فاطلب اليكم ان تسرعوا لمعونتي وتدركونا بالعجل لانهُ ان اهلكني فليس لكم قدرة بعدي ان تحاربوه وتقفوا بازائهِ لانهُ شديد الباس جداً. فلما وصلت كتب الملك بورس الى تلك النواحي اسرعوا اليهِ من كل جانب ومعهم من العساكر ستة الاف الف وكان عند بورس اربعمائة الف واما عسكر اسكندر فكان عدده عشرة الاف الف. ولما التقى العسكران وقبل ان ينتشب الحرب قال اسكندر لفولونيوس وزيره اذهب فجس عسكر بورس فاجابهُ كيف افعل ذلك فقال تذهب برسالة مني فكتب اسكندر لبورس يقول هكذا من سلطان الملوك والعظماء ذي السعد الاعظم اليك يا بورس الهندي اعلم ان الراس الخاضع لا يقطع فان رمت ان تحيا فارسل لي هدايا وخراج ارضك وامكث في بلادك ومملكتك لتحكم ارض الهند ولا تترفع كثيراً بجهلك وتتعظم مفتخراً لان المتعظم لابد ان يسقط وينحط الى درجة دنية وان اصررت على غرورك وجهلك تضحى سبباً في ذبح اهل الهند كلها واحذر فانك ستهلك شر هلكة اذ انك لاتتوجع لرعيتك وعسكرك ولا يهمك ضيمهم واما انا فبقوة الاله العظيم اقهر اعدائي واشفق على رعيتي وعساكري المكدونيين فلنرفع الحرب

مذ الان من بين العسكرين وكفاهم من قتل منهم الى الان . فليس من العدل انهُ لاجلي انا اسكندر ولاجلك يابورس نقتل اهل الارض بل هلمَّ و بارزني وحدك في القتال وانا اكون وحدي فايُّ من غلب صاحبه وقتلهُ فهو الاسعد والملك المظفر وحاكم الارض وان لم تشأ بل تحب ان تحيا فارسل لي خراج ارضك وهدايا وعسكرًا لخدمتي واسترح في مملكتك فاختر ما احببت من هذين الامرين وارسل الجواب حالاً

فاخذ بورس رسالة اسكندر وامر بقرأتها ولما فهم معناها قال اني اقاتل اسكندر بنفسي واما العساكر فتقف في ناحية من غير حرب . ففرح الهنديون بذلك واستبشرت مدينة الشمس ثم قال بورس لفولونيوس انت هو فولونيوس وزير اسكندر اجابهُ انا هو سيد اهل فارس وحاكمهم العزيز لدى اسكندر وارجو ان احكم الهند بسعد سيدي وملكي فقال لهُ بورس اعلم انكم عما قليل ستكونون بدون ملك لان اسكندر سيذوق اليوم الموت من يدي فانظر لك يافولونيوس تدبيرًا تنجو بهِ وعاهدني على انك تكون من المخنصين بي فتحكم على الفرس وعلى قسم من مملكة الهند فقال فولونيوس اعلم يابورس ان العالم كله لن يفصلني عن محبة اسكندر لان الدنيا كلها وملوكها لا تساوي عندي شعرة واحدة من راسهِ و رجع فولونيوس الى اسكندر ثم قال لبورس اركب فانما اسكندر بانتظارك وقد ركب الفرس الاعظم

الفصل السابع والعشرون

واما اسكندر فانهُ ركب الحصان الاعظم وخرج الى ميدان الحرب الذي عزما ان يتحاربا فيهِ . وسال اسكندر فولونيوس كيف شجاعة بورس قال هو ذو جثة عظيمة ولكنهُ ضعيف الهمة قليل القوة فاذهب اليهِ ايها الملك العزيز فتقتلهُ بقوة اله السماء والارض فتضرع اسكندر الى الله قائلاً ياالهٰ

السماء والارض الملك المتعالي أعِني اليوم على بورس الهندي وحينئذٍ تناول الرمح وخرج لملاقاة بورس . وخرج بورس من عسكره فلما نظر كلٌّ منهما الاخر اقبلا حالاً يتطاعنان بالرماح ستة عشر دفعة حتى تكسرت رماحهما فاستلا سيوفهما ولم يجد احدهما سبيلاً على الاخر حتى العصر حينئذٍ قال اسكندر لبورس لاعبًا أهذه محبة عسكرك لك واما انتهم نحوك فقد تركوك ولم ينجدوك فالتفت بورس الى عسكره وفي التفاتهِ عاجلهُ اسكندر بالسيف بضربة قوية امالهُ عن السرج واتبعهُ باخرى فجندلهُ في الارض وعض جواد اسكندر جواد بورُس في عنقهِ حتى كاد يخنقهُ وسقط الى الارض على راس بورُس فانسلخت جلدة راسه ومات فلما رات عساكر الهند ذلك قاتلوا اسكندر قتالاً شديدًا فخرج بجيشهِ وطاردهم فحاربوه ايضًا الى ان انكسروا من امامهِ فقتل منهم نحو ثلثمائة الف واسر منهم كثيرين وعاد فاخذ جسد بورس الملك واودعه في تابوت من ذهب ووضع عليهِ وشاحًا ثمينًا ووضع على راسهِ تاجًا فاخرًا و بعث بهِ الى كرسيهِ مدينة الشمس حينئذٍ اتت كليتي امراة بورس في عشرة الاف من النساء الشريفات واستقبلن جسد بورس الملك وجزت امرأة بورس شعرها الذي كان مسترسلاً الى الارض ومزقت رداها الثمين ذا اليواقيت والجواهر واخذت بنحيب شديد ونوح ما عليهِ من مزيد ودفن اسكندر بورس في سرير من ذهب وحلة ملوكية وناحت عليهِ الهند اياماً واقام اسكندر عند قبر بورس اثني عشر يوماً ثم دخل مدينة الشمس واتى الى تخت الملك بورس وراى اموراً لم يرَ نظيرها قط فنظر البلاط الملوكي وكان طوله نحو ميل وكانت حيطان البلاط مصفحة بالذهب الصافي وكذلك العواميد مرصعة بحجارة ثمينة ولآلئ كبيرة وكان سقف البلاط كلهُ من ذهب ابريز والبلاط كله من خزف منقوشة عليهِ جميع الحروب التي جرت وحركاتها واشكالها والاثنا عشر شهرًا كشكل اشخاص بشرية كلٌّ يدور و يشير الى ايامهِ وساعاتهِ ودقائقهِ وصورة الاثنتي عشر امراة للاثني عشر

شهرًا وهناك ساعة عظيمة تحير عقل الناظر بصناعة غريبة تدور على عدد ايام السنة وتري الاشهر والسنين . ورأى هناك مائة منارة من ذهب مرصعة بجواهر وحجارة ثمينة ورأى لبورس مائة الف من الخيل الملوكية من ارض العرب واسلحة ذهبية وسروجًا من معادن متنوعة معدّة للحرب ورأى عشرة الاف سبع معدة لخروج الملك للصيد وعشرين الف نمر بسلاسل من ذهب وفضة ورأى هناك تاج الملك بورس الذي لم يحصل اسكندر ولا داريوس على مثلهِ ورأى وشاح الملك بورس الذي كان يلبسهُ في جلوسهِ على كرسيهِ وكان مرصعًا بجواهر تتقد كالنار والف صحن من الياقوت والمعادن الجزيلة الثمن واربعمائة كاس تشبهها مزينة بلولو وياقوت وزمرد اخضر ومائة وخمسين كاسًا من معادن لايقدر انسان ادراك قيمتها ومكث اسكندر في بلاد الهند سنة كاملة في جيشهِ واتى وقتئذٍ جميع الملوك والمقتدرين المجاورين ارض الهند فسجدوا لاسكندر واتوه بهدايا كثيرة وتحف لاتوصف واما اسكندر فولى صديقه انطيوخوس الذي كان يحبهُ واقامهُ سيدًا على الهند

الفصل الثامن والعشرون

ثم ارتحل من هناك وسار طالبًا ارض الامان واظنها ارض الصين يحكمها النسا فدخل البلاد واخذ في محاربتهنَّ ولم يقدر ان ياخذ تلك المدينة فعرفت تلك النسا ان اسكندر قد اتى لحربهنَّ فارسلن اليهِ مائة جارية من الجواري البديعات حسنًا وجمالاً ومعهنَّ هدايا ورسالة منطوقها ايها الملك العزيز اسكندر ذا الحلم والعقل الثاقب الموصوف بالشجاعة والرحمة قد سمعنا انك تغلبت على جميع المسكونة واخضعتها فاخذنا العجب اذ قد اتيت لتحارب نساء ضعيفات وانت قوي وشديد الباس لايحسن بك ذلك فلقد نغلبك

وذلك اهانة لك وفضيحة الى الابد ويقال عنك ان النساء قد غلبنك وان انت غلبتنا فليس بعجب ان تغلب نساء فلذلك نتضرع اليك ان ترحمنا وتوقف عنا الحرب وارسل لنا تمثالك ليملك علينا كانك انت نفسك . وقد ارسلنا لك هدايا وخراج ارضنا ذهبًا ولؤلؤًا وتاج ملكتنا كلي ترفاء ومائة جارية لاجل خدمتك فنسالك ان ترفع عنا القتال وترحمنا وتؤمننا في ارضنا وان كانت هدايانا قليلة فاحسبها كثيرة . فلما فهم اسكندر رسالة النساء ارسل الجواب فقال . من اسكندر عظيم الملوك الى كلي ترفا ملكة الارماذونا لقد وصلت رسالتكِ وسررت لمحبتكِ لنا ليس بسبب الهدايا والتحف بل لاجل خضوعك وعبوديتك لنا ولكن لم يكن يقتضي ان ترسلي لنا نساء واعلمي اننا حاربنا المسكونة واخضعناها فكيف تقولين ان قد تقهرنا النساء فان كانت شجعان الارض وابطالها سقطوا تحت اقدامنا فكيف تغلبنا النسا فقد اخطاتِ اذا في رسالتكِ على ان الحلم يطفي السخط وها انا ارسل اليك رمحي يملك مكاني فارسلي لي ثلاثين الف مقاتل في الحال لاني ماض الى مملكة لم تخضع لي . ثم ارتحل اسكندر من هناك وسار طالبًا مملكة اليابان وجمع عسكره وكان عنده ثمانمائة الف الف وارسل امامه جواسيس كاد اليابانيون يقبضون عليهم ثم ارسل بطلوماوس وزيره بعشر كرات من المقاتلين واستخبأ في غابة اخرى واماغيتري ملكهم فاراد ان ينازل اسكندر من ناحية اخرى ولم يعلم بان بطلوماوس كان في مكان اخر فلم يدرِ الا و بطلوماوس صار من خلفهِ واسكندر من قدام فكسروه وامسكوه حيًا واتوا بهِ الى اسكندر فامر ان نقطع جميع تلك الالسن والقبائل التي كانت في تلك النواحي فانهزموا من اسكندر . وهذه الالسن واللغات والقبائل كانت متوحشة جدًا بعيدة عن طبيعة البشر في الماكل والخصال والعادات

ولما ادركهم اسكندر طردهم وابعدهم فدخلوا كهوف الجبال الشوامخ ووجد منهل ماء بين تلك الجبال وكانت كلها كهوفًا فهناك كان مقرهم فقتل منهم

اسكندر مقتلة عظيمة و بنى امامهم حائطاً من نحاس وحبسهم في داخلهِ لئلا يخرجوا اليهِ ايضاً. والى هنا وصل ثم طلب من الله مصليًا وقائلاً ايها الاله الضابط الكل ملك الملوك و رئيس الرؤساء يامن بيدك امر الكل وتدبير الكل ولك تخضع كل خليقة ومنك ترتعد وانا بك املك لانك قد جعلت المسكونة في يدي وتعبدت لي ملوك الارض بحسب مشيئتك فاليك اتضرع وبك استغيث فاستجبني في هذه الساعة ومر هذين الجبلين الغربيّ والشرقي ان يلتقيا و ينطبقا. فصارت زلزلة عظيمة وانطبق الجبلان على تلك القبائل الهمل وسجد اسكندر للاله الضابط الكل وشكر لهُ وامر ان يصنع فيما بين الجبلين باب من نحاس عالٍ كبير وان يزرع حول ذلك المكان عليق وعوسج وشجر شوكة مسم من داخل ومن خارج فارتفع هناك غابٌ كثيفٌ وامر ان يبني برج عظيم على صخور تفوق قوة البشر وكانت الرجال تصعد على تلك الصخور بمناجق صنعها ذلك بصناعة فلسفية محكمة الاتقان كما اشار الحكما الذين كانوا معهُ. ثم صنع في وسط البرج الة موسيقى عجيبة فكانت اذا هبت الرياح الاربع من اربع جهات الارض تاخذ بالتلحين والغناء قائلة ان اسكندر الملك ههنا فاذا سمع اوليك المتوحشون الصوت هربوا الى داخل ولم يتجاسروا ان يصعدوا الى باب البرج وههنا اغلق اسكندر الى تلك القبائل والامم الهمل وهم ثنتان وعشرون قبيلة فملك مدناً كثيرة وقلاعاً منيعة في تلك النواحي والاصقاع ثم انقلب راجعاً عنهم

الفصل التاسع والعشرون

وفي ذلك الزمان ارسلت الملكة قنطركيا مصوراً حاذقاً يصور اسكندر فاخذ صورتهُ واتى بها الى الملكة قنطركيا ملكة الامسطر بدونا فلما نظرت الملكة صورتهُ الرائقة وجماله الفائق اندهلت ووضعت الصورة عند سريرها واحبتهُ

من اجل صورتهِ وقد اخفتها عندها قائلة في نفسها لعل اسكندر يحضر الينا رسولاً فنعرفهُ ونمسكهُ لانها سمعت عنهُ انهُ يذهب بنفسهِ رسولاً الى الممالك ويجس اراضيهم فلهذا امرت ان تصور صورتهُ وكانت تتوقع ذلك واما اسكندر فانهُ وصل الى حدود ارض قنطركيا وهي حماة بورُس الهندي وكان لها اربعة اولاد ذكور كل واحد منهم يملك في نصابهِ كاراطورس وكاطافلوشي ودريقورس وملوقين واما كاراطورس ابنها فكان صهر الملك بورُس فلما وصل اسكندر الى ارض الامسطر بدونا سمع بذلك كاطافلوشي ملك افريتيراس ابن الملكة قنطركيا فترك مملكته واتى في امراتهِ وابنهِ وجميع قناياه ذاهبًا الى امهِ قنطركيا خوفاً من اسكندر فالتقاه ملك اسمهُ افاكريديس ملك مدينة سلور فوقع الحرب بينهما وتقاتلا قتالاً شديداً فهزم افاكريديس ملك سلور لكاطافلوشي ابن الملكة قنطركيا واخذ امراته واولاده وجميع مقتناة ونجا هو وحده بقليل من العسكر وفيما كان هاربًا ليذهب الى امهِ قنطركيا وقع بين خيام اسكندر فمسكوه وسالوه من انت ومن اين اتيت والى اين تذهب فاعترف لهم بحقيقة الامر فاحضروه قدام اسكندر الذي حين سمع بانهم مسكوا كاطافلوشي ابن قنطركيا وانهم احضروه بحضرتهِ نزل عن كرسيهِ واجلس انطيوخوس وزيره عوضهُ في الكرسي ووضع التاج الملوكي على راسهِ

ووقف اسكندر في ناحية بعض العظماء لانهُ اعتزم هو بذاتهِ ليجس بلد الامسطر بدونا واوصى انطيوخوس قائلاً اني احضر كاطفلوشي امامك كانك انت اسكندر وكاني انا من بعض عظمائك اجابه و بعد ان تحضره اليّ ماذا افعل قال استقص عن حالهِ وسلمني اياه فاحتفظهُ كاني وزيرك فقال انطيوخوس لاسكندر اذهب فاحضره فخرج اسكندر واحضر كاطفلوشي واوقفهُ بحضرة انطيوخوس كانهُ اسكندر فسالهُ انطيوخوس قائلاً من اين حضرت ولماذا هربت ووقعت في يدي اجابهُ من خوفك هربت لاذهب

الى امي قنطركيا لحفظي فالتقاني افكريديس ملك سلور القريب من حدودنا وارضنا وهو هارب منك فقاتلني قتالاً شديداً وهزمني ونهب جميع موجوداتي واخذ امراتي وابنتي وانا وحدي خلصت واتيت ولم ادرِ الاَّ وانا بين خيامك فقبض عليَّ اصحابك واحضروني امامك وتم فيَّ المثل قال انطيوخوس وكيف ذلك قال كاطفلوشي زعموا ان رجلاً كان هارباً من اسد فصعد الى شجرة عظيمة ليستريح واذا في راس الشجرة افعى عظيمة فلما راتهُ تحركت وهمت ان تلسعهُ فتحير ذلك الرجل ماذا يصنع فنظر ايضاً الى يمين الشجرة واذا هناك بركة ما فخرج منها تمساح عظيم كان ناظراً الرجل ليبتلعهُ فتحير قائلاً ان سلمت ذاتي للاسد قطعني قطعاً واذاقني عذاباً شديداً وان طرحت نفسي للافعى فلا اطيق احتمال السم فالاوفق لي ان ادفع ذاتي للتمساح ليبتلعني صحيحاً مرةً واحدة فقفز من الغصن الى فم التمساح وهكذا صار بي انا المحزون ايها الملك اسكندر لاني من خوفك هربت ووقعت في يديك واما انطيوخوس فكان جالساً في كرسي اسكندر الملوكي كما سبق القول فاجاب قائلاً الرجال الاشرار تتبعهم شرور كثيرة واحزان مفرطة لكن انت لا نعاملك بهذه الصفة يا كاطفلوشي لان سعدك قد اتى بك عندنا لانك صرت في زمامي وتحت كنفي فلا تحزن ابداً فانا اردد اليك كل شي ذهب لك وابنتك وامراتك وكل غناك وارسلك الى بلادك وعند امك قنطركيا واني لك حبيب صادق واخ موافق فلا تيأس ولا تفشل ثم امر انطيوخوس اسكندر مسمياً اياه باسمهِ قائلا يا انطيوخوس مقدم عساكري قم وخذ معك عسكراً واخرج كاطفلوشي واسرع الى مدينة سلور الى الملك افكريديس وخاطبهُ الان فان دفع اليك امراة هذه الرجل وابنته وجميع ما اخذ لهُ بكل طاعة وخضوع كان ذلك وان لم يفعل فقاتلهُ واخرب المدينة وانهب اهلها . واما هو فأتيني بهِ حياً لكي نرسل كاطفلوشي مع امراته وابنته وماشيته الى امهِ قنطركيا فلما سمع كاطفلوشي هذا القول خلع خوذتهُ عن راسهِ وسجد ظاناً انهُ هو اسكندر

ثم مدحه وشكره قائلاً بحكم عدلك اوهبك الملك ان تستعبد الرقاب يا اسكندر فانك تنتصر لاجل حلمك ورحمتك على اعداك ثم سجد كاطفلوشي لاسكندر وخرج من وجه انطيوخوس فانتخب اسكندر اربعماية الف من المقاتلين الابطال وخرج حتى انتهى الى مدينة سلور ثم قال اسكندر لكاطفلوشي ان خلصت لك امراتك بماذا تكافئني من المعروف قال كاطفلوشي اذا رجعنا ظافرين فاني اتضرع الى سيدك اسكندر ان يرسلك معي رسولاً عند امي قنطركيا فتاخذ من عندنا ذهباً جزيلاً ولتكن اخاً متقدماً فينا وابناً خامساً لامي فلما وصل الى مدينة سلور قسم اسكندر عسكره ثلاثة اقسام وارسل ماية الف لبلد افكريديس لينهبها ويسبيها ومايتي الف ليدخلوا في شعب ويستخفوا والماية الف الاخرى بقت معهُ وكتب اسكندر رسالة الى افكريديس يقول اعلم يا افكريديس انهُ قد بلغ جهلك اسكندر ملك الارض فارسل اليك وزيره انطيوخوس يأمرك ان تخرج بالحال امراة كاطفلوشي وابنتهُ وجميع ما اخذت لهُ ترده اليهِ عاجلاً وان لم تبادر لاجراء الامر الملوكي تموت شر ميتة

وكان افكريديس قد ارسل جواسيس يجسون عسكر اسكندر فرجعوا واخبروه ان عسكرهم قليل فخرج افكريديس لحرب اسكندر فلم يدرِ الا وقد دهمتهُ عساكر لا تعد ولا تحصى فقاتلوه قتالاً شديداً فانكسر افكريديس هارباً فاحتال اصحاب اسكندر ليمسكوه حياً فانكب على سيفهِ الى ان خرجت امعاؤهُ ومات فدخلوا المدينة وخربوها وخلصوا امراة كاطفلوشي وابنتهُ وجميع ما كان لهُ وذهبوا بهِ الى انطيوخوس فقال وهو جالس في مجلس اسكندر ها قد اخذت كل شيءٍ لك من الذهب فامضِ الى امك قنطركيا فاجاب كاطفلوشي كل شيء لي من الذهب وهبت لي عوضهُ مضاعفاً ايها الملك العزيز اسكندر اني عالم بانك سترسل رسولاً الى امي فاسالك ان ترسل وزيرك انطيوخوس هذا معي رسولاً من قبلك ومهما اردت واحببت

فامرك عندنا مطاع لان وزيرك هذا قد رايتهُ عاقلاً ومحتشماً وشجاعًا واميناً لك جدًا فاجابهُ ها نحن فاعلون حسب مبتغاك فدعا حينئذٍ اسكندر قائلاً اذهب الى الملكة قنطركيا مع ابنها هذا وخاطبها ان الملك اسكندر اتى حدود ارضكِ ويريد منكِ هدايا وخراج مملكتكِ وان لم ترسلي فانهُ وافد اليكِ بعساكر لا تحصى قال اسكندر لانطيوخوس اكتب لي مكتوبًا قال كاطفلوشي لا يليق برجل مثلك ان يحتاج الى مكتوب فها انا معك شاهد فسجد كلاهما وخرجا . ثم وهب انطيوخوس لكاطفلوشي ثوبًا ثمينًا جدًا مكدونيًا وحصانًا جنديًا حسنًا منتخبًا بسلاحه واما سرجه فكان من جلد تمساح مرصعًا بجواهر ثم ان الرسول اعني اسكندر اخذه الى خيمتهِ واضافهُ ووهبهُ هدايا ثم خرج كلاهما وركبا طالبين ارض الامسطرودونا الى الملكة قنطركيا وفيما هما سائران في الطريق كان كاطفلوشي يتعجب من اسكندر ومن حسن طلعتهِ وجمالهِ وفخر ملابسهِ وعذوبة كلامهِ ولم يعلم انهُ هو اسكندر بعينهِ بل قال لهُ لقد رايت مقتدرين كثيرين وملوكًا الاَّ انني لم ارَ مثلك انسانًا اخر فان كان اسكندر عنده رجل اخر مثلك فلا بد يملك المسكونة قال اسكندر حقًا يا اخي كاطفلوشي عنده كثيرون اكمل واجمل مني مثل فيلوسيبوس وفيلبس وبطلوماوس وسلمنكيوس وفيذاندوس وانديفونورس وانا اصغر منهم فاجاب اني نظرت هولاءِ جميعهم على انك انت اهلٌ للاكرام والوقار اكثر منهم وكان يليق بك ان تكون ملكًا واخذ اسكندر يمتحنهُ بالكلام لينظر ان كانت محبتهُ صادقة فقال كاطفلوشي لاسكندر لا يفرقني منك الاَّ الموت يا انطيوخوس وانك محبوب اليَّ وان امكنني ان ابذل نفسي عنك فلا اتردد . ثم انهما وصلا الى ارض وعرة موحشة بها مغارة متطرفة عظيمة شاسعة هائلة فقال كاطفلوشي ياحبيبي انطيوخوس ان فلاسفة اليونان يزعمون ان الهة اليونانيين محبوسون في هذه المغارة ولو كان ممكنًا الدخول لدخلتها وتنظر ما فيها من المذعرات الغريبة والخيالات المفزعة

وقد دخل كثيرون هذه المغارة واضاعوا عقولهم فاجابهُ اسكندر ابمثل هذه المحبة تحبني فادخل المغارة واضيع عقلي قال يا اخي ان كثيرين من رجال ونساء دخلوها ولم يمسهم ضرر فاما انت عقلك اعظم وتمييزك اجلّ واسمى وانا اعلم انك لو دخلت لن يصيبك شيءٌ بل قصدي ان تتفرج على العجائب التي فيها لانك طويل العمر وبسعد سيدك لا تجبن عن شيء قال لهُ اسكندر ارني الطريق لادخل فاراه ثم مسكه وبدا يعانقهُ ويقبلهُ وقال لا حاجة لارواي هذا الغليل فقد تصادفك مضادات لان جوف هذه المغارة وعرًا وموحشًا وفيها سباع واشباح كثيرة وخيالات وان اعتراك شي من المضادات فانا اموت ههنا ولا ابصر وجه اسكندر فاجاب اسكندر اجلس ههنا لاني هو ذا ماضٍ لادخل المغارة ولا اجزع قال ادخل ولا يوذنك شي واله اسكندر يكون معك

—⟩○○○⟨—

الفصل الثلاثون

ودخل اسكندر تلك المغارة ورأى امورًا غريبة مفزعة واشباحًا مختلفة الاشكال وصورًا مريعة فبدا يشكر الاله الصباووت ويعبر خائفًا حتى دخل داخل المغارة وكان كلما توغل تكاثرت عليهِ الخيالات المدهشة اشكالاً وانواعًا فعرف كثيرين منهم ممن كانوا في العالم احياء ورأى الملك ابراكلوس كشبه الخيال ورأى ابللون وزحل وارميس والمريخ والمشتري وغيرهم من الذين كانوا يؤلهم اليونانيون وكانوا مغللين بسلاسل ومكبلين في اقصى المغارة فاسال واحدًا منهم ما اسمك فاجابهُ وكان فيما سلف ملك الارض قائلاً يا اسكندر هولاء الذين تنظرهم كانوا ملوكًا وملكوا الارض مثلك ولاجل غباوتهم وجهلهم تجاسروا ودعوا انفسهم آلهة الارضين واهملوا الاله الحي العظيم فلما ماتوا احضرهم الجن الى ههنا بامر الاله الاعظم ليحبسوا

ههنا سبعة دهور حتى اذا كملت يزجون في الجحيم الاسفل ليعاقبوا سرمدًا فاسال اسكندر وهذه الوجوه المتخايلة ماهي ،فقال هولا هم الملوك القتلة القساة قال خال لي اني رايتك قبل هذا الان قال لعلك مررتَ بارض الناس الوحشيين فربما رايت صورتي في العامود المنصوب هناك عندهم قال اسكندر ما اسمك قال انا هو صوصوخوس الملك الذي ملكت الارض كلها وتعظمت كثيرًا وجهلت الاله الحي فقصدت اقصى الارض حتى اذا وصلت الى ارض الناس الوحشيين خرجوا عليَّ واهلكوا عساكري وقتلوني هناك فاتى اليَّ ملك شرير قربطني والقاني في هذه المغارة وحبسني ها هنا وها انا في ضيق شديد لعدم عقلي ثم تركهُ اسكندر وذهب الى اقصى المغارة فاذا بداريوس الملك مغلول مكبد نائح فلما راٰهُ داريوس بكى بكاءً شديدًا وصرخ يا اسكندر الوافر العقل والحكمة لعلك اتيت الى ههنا وحبست معنا قال اسكندر كلاَّ انما اتيت طوعًا لكي انظركم قال داريوس ايها الوافر الحكمة لاجل انك واثق بالاله الحي اتيت الى ههنا لتنظر ما لم ترهُ قط فاسمع ما انا مخبرك ماذا عسى ان يلقاك اعلم ان قنطركيا ملكة الامسطر يدونا عندها صورة وجهك وهي تعرفك لامحالة ولكن لاترجع الى الوراءِ لان الاله الذي تتوكل انت عليهِ معك هو ينقذك من يدها فتشجع يا اسكندر ثم سال داريوس اسكندر وهو يبكي وقال لعل روكسندرة باقية معك الى الان وهل هي في مملكة الفرس اخبرني قال ان روكسندره هي الان ملكة المسكونة

قال داريوس يا ابني اسكندر ادخل الى داخل المغارة لتنظر بورس ملك الهند فلما طرق المغارة الى اقصاها لاح لهُ خيال بورس فتحققهُ واذا هو مربوط مكبل قال لهُ اسكندر ايها الكبير المعظم بورس سيد الهند قبل هذا الان كنت تدعو نفسك الاله والان كيف صرت ههنا محبوسًا ومسجونًا قال لهُ بورس هذا جزاء الذين يملكون المسكونة و يتعظمون فاحذر يا اسكندر ان تتعظم فسيوئتى بك ههنا مربوطًا لتحبس معنا تحت حكومة الملك الصباووت

واسالك يا ابني اسكندر ان لاتهمل امراتي كلاوسطره واهتم دائمًا من اجل الاموات فاما الاحيا فلا تعتنِ بهم فتحير اسكندر من تلك المناظر المفزعة واندهل وحاول الرجوع ليخرج من باب المغارة فالتفتهُ تلك الخيالات المريعة و باغتهُ تلك الاشباح من نواحي المغارة لتخيفهُ وتكاثرت عليهِ جدًا فاما هو فتشجع بذكر الله الصباووت وهكذا خرج من بينهم خارجًا فوجد كاطفلوشي باكيًا منتحبًا على فقده لظنهُ انهُ اختفى في داخل المغارة فبادر وعانقهُ وقال لماذا يا انطيوخس ابطات هكذا فان ابطاءك ازعجني كثيرًا الا انني توسلت الى الله بسعد سيدك اسكندر ان يحفظك لان الهك نجاك من تلك الخيالات .فاخبرني الان ماذا رايت في هذه المغارة المريعة فشرح اسكندر لكاطفلوشي كل ما راى شرحًا مبينًا فاعترى كاطفلوشي التحير واندهل مرتعدًا ولم يزالا يتخاطبان في امر المغارة الى ان وصلا الى مملكة قنطركيا فلما عرفت الملكة ان ابنها قد وفد فرحت فرحًا عظيماً وقامت من كرسيها وخرجت الى لقائهِ فلمارات اسكندر مع ابنها وكانت قد سمعت ان انطيوخوس ضاع في المغارة وكانت حزينة فاستقصت من ابنها عن حال اسكندر وعساكره فاخبرها كاطفلوشي عن كل ما جرى لهُ من الحروب والمعارك وعن هربهِ ووقوعه في يدي اسكندر ثم قال لها ان انطيوخوس هذا هو الذي خلصني من يدي اعداي واستخلص لي جميع اموالي وامراتي وابنتي ووهبني اياهم وهو وزير اسكندر الاعظم فاقبليهِ يا امي كولد لك فلما سمعت قنطركيا هذا الكلام وتفرست في شكل اسكندر بادرت اليهِ وامسكتهُ وضمتهُ اليها وبدت تقبلهُ ثم سلمت عليهِ قائلةً مرحبًا بك ايها الجليل القدر والسامي الفخر ملكًا كنت ام وزيرًا فانت ولدي الحبيب وتاملت في صورتهِ وحسن جمالهِ فاندهشت وقالت لهُ مذ الان انت ولدي لانك عاملت ابني بالخير واحسنت الينا هذا الاحسان فبدا اسكندر يخاطبها كرسول مرسل من اسكندر فعجبت من كلامه وعرفت من اشارات وجههِ التي راتها في الصورة التي عندها انهُ

هو اسكندر بعينهِ فعانقتهُ طويلاً ايضاً وكانت تخاطبهُ بكل حب ووداعة قائلة اهلاً بك ايها المعظم في الارض على انك لست تذهب من عندنا بل تملك هنا مع اولادي ولست اتركك تعود الى اسكندر فهلم معى لكي ادخلك الى بلاطي الى سريري الملوكي وتنظر جميع ما عندي واهبك مهما اردت واحببت ثم اكتب رسالة الى اسكندر وارسل رسولاً عوضك وامسكتهُ ودخلت بهِ البلاط الملوكي وكان كله مفروشاً ومصفحاً الى اسفل بذهب نقي مرصعاً بحجارة ثمينة تدهش الناظر . ثم دخلت بهِ الى اقصى البلاط حتى اتت الى سريرها و بدت تخاطبهُ قائلةً ياحبيبي اسكندر خذ مهما شئت واشتهتهُ عيناك واما هو فكتم نفسه قائلاً انا هو انطيوخوس عبد اسكندر فاجابت قنطركيا اني قد علمت وتحققت انك انت هو اسكندر ملك الارض بعينهِ ولا يليق بك ايها السامي الفخر ان تدعو نفسك انطيوخوس وان لم تصدقني فانظر الى هذه الصورة فانها تشابهك فلما حقق نظره في الصورة وراى علامات وجههِ قال لاشك انهُ مصور حاذق واسكندر يحبني جداً لانني اشابهُ وكثيرون راوني فظنوا اني اسكندر قالت قنطركيا حقاً انت هو اسكندر وانا اليوم سعيدة بين الملكات اذ حظى منزلي بسيدي اسكندر واعلم انك قد دخلت الينا لكن لايمكنك ان تخرج من عندنا مذ الان بل ههنا نقيم فلما سمع اسكندر قولها غضب غضباً شديداً وظهر الغيظ في وجههِ وكان يصر باسنانهِ ثم نظر اليها نظراً شذراً وهم ان يقتلها في تلك الساعة وهي على السرير فعاينت الملكة قنطركيا منظر وجهه قد تغير وعلامات الغضب لاحت على جبينهِ فارتعدت خوفاً وسارت الى نحو الباب لتخرج وتفر من يده فقبض عليها وضبطها قائلاً لاخروج لك من هذا الباب بل ههنا اقتلك قتلاً شنيعاً وان لم امتك فلا اخرج من هنا بل اقتل اولادك واذا مت فاموت موتاً كريماً فلما سمعت قنطركيا جوابه وتحققت انهُ هو اسكندر بعينهِ انطرحت عليهِ وعانقتهُ شديداً

ثم قالت ايها الملك المعظم في السلاطين والسامي الفخر في ملوك الارض اسكندر القاهر لماذا شملك الغضب منا وتكدرت مهلاً فلا تقلق ولاتحزن فلست انا من النساء الجاهلات حتى اشهر امرك لاحد من الناس حتى ولا لاولادي بل سوف ارسلك بكرامة وعطايا جزيلة الى عساكرك لتذهب بسلام فمذ الان اطمأن يا ابني فمن يقدر ان يخوض هذه اللجة بان يدفع حاكم الارض الى الموت او يخامر عليهِ فان العالم كله مستبشر بك وانت اليوم للناس رجاء وسند . واعلم يا اسكندر انني قد احببتك كثيراً ونفسي تعلقت بك واريد ان اصيرك ابناً لكي ادعى والدة ملك الارض فمذ الان كن مطمئناً فلست اشهر ولا اكشف امرك البتة ولو عرض لي الموت نفسه . لان العالم كلهُ لايساوي شعرة من راسك ومن يتجاسر ان يقتل ملك الارض فانما قصدي ان تتخذني عوض والدتك اوليمبيادة فاوصيك ياولدي بان لاتعود من الان تذهب رسولاً الى الممالك لانهُ خطر عظيم عليك ولا يليق بك ان تفعل ذلك ولا ينبغي لسيد المسكونة ان تتعلق حياته بخيط العنكبوت فما الداعي لذلك فلا تخاطرنّ بنفسك من الان وصاعداً هذه المخاطرة وها انا ناصحة لك ومشفقة عليك . فلما سمع اسكندر كلام قنطركيا تحقق انها احبتهُ وانها ناصحة لهُ فسر وخلع خوذته عن راسهِ وانحنى ساجداً لها قائلاً من هذه الساعة انتِ والدتي اوليمبيادة وقبل يديها وعانقها وخرج كلاهما الى خارج وفي تلك الساعة حضر ابنها دوريفوروس من عسكر اسكندر مغلوباً فلما سمع ان انطيوخوس رسول اسكندر عند امهِ قنطركيا اتى مسرعاً وجرد سيفهُ ليقتلهُ . فلما عرفت والدتهُ بادرت اليهِ وقالت لايليق بك ان تفعل مثل هذا الفعل الشنيع اعلم ان اسكندر اعتق اخاك من العبودية واسلم عسكره للحرب ليدافعوا عنهُ وقتل عدوه افكرديس ملك سلور وخلص لهُ امراتهُ وابنته ووهب لهُ اضعاف ما كان معهُ وارسلهُ اليَّ كاسباً مجبور الخاطر وارسل معهُ انطيوخوس حبيبه الينا فعوض الهدايا والكرامات التي يجب ان

نعاملهُ بها اتريد نقتل رسوله الان . اعلم انهُ الاحرى بنا ان نموت كلنا من ان تسقط شعرة واحدة من رسول اسكندر في منزلنا فلم يصغَ دور يفوروس الى قول امهِ بل اجابها دعيني اقتلهُ لان اسكندر اهلك جميع عساكري وقتل بورس ملك الهند وانتِ لاتتركيني اقتل احد اصحابهِ فلما سمعت امرأة كاطفلوشي قول دور يفوروس اسرعت الى زوجها كاطفلوشي الذي كان قد حضر مع اسكندر واخبرتهُ ان اخاك دور يفورس جرد سيفهُ ليقتل انطيوخوس رسول اسكندر حبيبك . فلما سمع كاطفلوشي خرج في الحال حتى اذا دخل البلاط الى امهِ وجد اخاهُ مجردًا سيفهُ وامه حاضنتهُ ولا تقدر ان تضبطهُ وهما يتصارعان فوقع السيف من يده فتناولهُ كاطفلوشي واتى ليقتل دور يفوروس

وشتمهُ واهانهُ وقال لهُ يانذل ياجبان ان كنت صادقًا في قولك وتريد قتله فادخل انت واياهُ وحدكما لننظر ونختبر شجاعتك فاعلم ان ماية مقاتل مثلي ومثلك لن يستطيعوا الوقوف امامه فانهُ مجرب في القتال معدود عند المكدونيين بخمسمائة مثلك ياغليظ الرقية واشر الناس وان ظننت في نفسك انك ذو باس فاذهب اليهِ وقاتلهُ واقتلهُ في عسكر المكدونيين واما ههنا فان نالهُ مكروه لن نهرب من يد اسكندر اما سمعت كيف قتل حماك بورس الملك بضربة واحدة كذبح الشاة

فدخلت قنطركيا واعلمت اسكندر واخبرتهُ فخرج وراى دور يفوروس واخاه كاطفلوشي يتنازعان فلما رأى دور يفوروس اسكندر غضب وهم ان يهجم عليهِ ليقتلهُ واما اسكندر فلم يجبن بل استل سيفه ووقف مقابله وقال اراك قد سخطت وتريد ان تقتلني فهلم الان اقتلني ان كنت شجاعًا بين الامسطر يدونا ولو عرف سيدي انكم تقتلون رسل الملوك لما كان ارسلني اليكم بل كان حضر بنفسهِ في جيشهِ فتبسمت قنطركيا وقالت ان الرجل العاقل يخلص نفسه ويخلص كثيرين معهُ من الموت . فلما سمع دور يفوروس

هذا الكلام خاف وارتعد فانت قنطركيا وامسكت اسكندر وامسك كاطفلوشي اخاه دور يفوروس وانفكا عن بعضهما واصلحا بينهما وحينئذٍ صنعوا وليمة عظيمة واكرموا اسكندر بهدايا جزيلة ووهبتهُ الملكة قنطركيا تاجها العظيم الذي ليس مثله في ارض الهند . فدفعتهُ اليهِ سرًّا وقالت لهُ خذ هذا معك الى روكسندره . ثم اعطتهُ خاتمها الذي كان باربعة وجوه وكان من صناعة باهرة وعمل فلسفي ينظر فيهِ البعيد كالقريب باربع جواهر وحجر مغنطيس واعطتهُ اسلحة من فولاذ لايوثر بها نار ولا سيف منها اسلحة من جلود افاعي الهند العظيمة المرهبة واعطتهُ فرسًا اشهب مسروجًا ملجومًا لاتلحقهُ الخيل وكان سرجه قطعة واحدة من الياقوت وهذه الحجارة كانت من الياقوت والزمرد والجواهر وغير ذلك وكانت صناعتها كما كان عند فلاسفة اليونانيين القدماء واما الان فقد فقدت . ثم اعطتهُ خوذة مصنوعة شبه نسر يحمل في رجليهِ كتابة هذا نصها القيصر اسكندر ذو الاقتدار العظيم والسعد الكبير ضابط كل جهات الارض وسيد المسكونة . ثم ودعوه ببكا ونحيب وكانت الملكة قنطركيا تعانقهُ وتقبلهُ واما هو فكان يطيب قلبها ويشجعها قائلاً لاتبكي يا امي فطالما انا حي لايصيبك مكروه ولا يقدر احد من الملوك ان يجرد عليكِ سيفًا . ثم انها اعطتهُ خراج ارضها عن عشر سنوات فلم ياخذه منها بل قال انا ذاهب الى اسكندر واتضرع اليهِ ليسقط عنك الخراج قالت لهُ قنطركيا سرًّا ان لم تاخذ منا الخراج يظهر امرك فاقبلهُ منا علامة محبة دائمة لي ولاولادي فقبل الخراج وخرج من عندهم ومعهُ كاطفلوشي واخوه دور يفورس واخوه الاخر مالوقين حتى وصل الى عساكره فلما اقبل اسكندر على جيشهِ ترجل جميع العسكر وسجد لهُ فالتفت اسكندر وقال لكاطفلوشي واخوته اعلموا اني انا اسكندر بعينهِ فلما سمعوا ذلك اجابوه ان كنت اسكندر فنحن هالكون الان واما اسكندر فانهُ امسكهم وضمهم اليهِ وقال لايصيبكم مني بغي ولا خوف لاجل محبة والدتكم . وانتم مذ الان اخوتي واحباءي الاعزاء ثم انهُ اكرمهم واعطاهم عطايا ملوكية

وصرفهم الى بلادهم بسلام حينئذٍ كلمهُ عظماؤه ورؤساؤه وهم انطيوخوس وبطلوماوس وفيلولوس قائلين لا يليق بك ان تفعل هذا بنفسك لان حياتك يتعلق بها سلامة المسكونة وموتك يقلق الارض ويزعج ساكنيها فلم تجعل نفسك جاسوساً ورسولاً وتخاطر بها فان هلكت نهلكنا كلنا معك في هذه البلاد البعيدة وها نحن قد سدنا على الارض كلها وما من موضع الا ملكناه ولا مملكة الا باطشناها فنلتمس منك ان ترجع الى مملكة فارس . حينئذٍ صنع لعساكره وليمة عظيمة ووهب عظماه هبات جزيلة . ثم ارتحل من هناك راجعاً بعساكره الى مملكة فارس حيث الملكة روكسندره امراته فخرج الناس لاستقبالهِ وفرحوا فرحاً عظيماً يكل عن وصفهِ اللسان وانعم اسكندر على انطيوخوس ان يتسلط على مملكة الهند بذاتهِ واعطى فيلولوس ان يحكم على مملكة فارس ووهب انديفونوس البروس مملكة بيربا وكل النواحي الشمالية ووهب بطلوماوس مملكة مصر العظيمة وبيت المقدس مع كل البلاد ليحكم عليها بنفسهِ واعطى سلفيكوس رئاسة ارض فلسطين ومدينة انطاكية العظيمة وجميع ارض برياس وقرمان وجزيرة قبرص واعطى نطرطوغونس رئاسة مدينة رومية العظمى بنفسهِ ووهب اولاد ماضوشي رئاسة جزيرة الانكليز فقسم الممالك قسمة عادلة وحدد لكل ملك ارضه . ثم مكث في ارض فارس سنة كاملة ومن هناك انقلب راجعاً الى مدينة بغداد فراى تلك الليلة في الحلم ارميا النبي يقول هلم يا اسكندر الى المكان المعد لك لانهُ قد مضى من حياتك اربع واربعون سنة فها قد حان لك ان تذوق كاس الموت وتعود الى الارض التي منها اخذت لانك تراب والى التراب تعود . قد طرقت الارض كلها ومشيتها ولم تكسب منها شيئاً وها انت مزمع ان تجرع كاس الموت من يد ساقيك وتموت اما جسمك المتنعم فيبلى في الارض وبقاياه تدوم الى يوم القيامة وحينئذٍ تجتمع نفسك بجسمك لتسكن في ذلك العالم وتجازى عما صنعت فثق بكلامي ولا تشك فيهِ لان الاله الاعظم الذي امنت

بهِ قديم الايام يدين الاحياء والاموات وستدان الملوك والعظماء والمسلطون والرؤساء والمتقدمون والاغنياء والشرفاء والفقرا هولاء كلهم يقفون في رتبة واحدة فانت يا اسكندر مزمع ان تجد راحة يسيرة لاجل علمك وعقلك الكامل ورحمتك لاعدائك وخصوصاً لاجل سجودك للاله الحي رب الجنود ومعرفتك اياه فلما انتبه اسكندر من نومهِ جلس متحيراً واشتد عليهِ الامر وكاد يفقد عقله من عظم ما راى فجعل ينوح ويصعد الزفرات ويبكي بكاء شديداً وهو متفكر بالموت وكان مثل سفينة قد تعالت عليها الامواج ولاطمتها الرياح وحدث لهُ ذلك لخوفهِ من الموت ولم يعلم ماذا يعمل وحينئذٍ ارتحل مع المختصين بهِ الى ان اتى مدينة بغداد واخذ معهُ روكسندرة امراته وهو بائس نوحاً وكان كمن اضاع كنوزاً عظيمة لا يلذ لهُ طعام ولا شراب يفطن بالموت كل ساعة . ثم ارتحل من بغداد حتى دخل ارضاً شاسعة يقال لها حوران وهي ارض ايوب الصديق وهناك نصب خيمته واستراح العسكر الذي كان معهُ في ذلك السهل الواسع وكان عسكراً لا يحصى واما العظماء والوزراء فكانوا يرون اسكندر حزيناً ويطلبون سبيلاً ليسالوه ويعزوه فلم يمكنهم فاشاروا على العسكر ان يجتمعوا كلهم الى القضاء ويتدرعون بسلاحهم ثم اخذوا اسكندر وذهبوا بهِ الى موضع عالٍ مشرف جداً واقاموه هناك لينظر الى كثرة جيشهِ فلما صعد وراهم كلمهُ وزراؤه قائلين يا اسكندر السامي المقام بين ملوك الانام لماذا انت حزين ولمَ يتمكن الغم في قلبك الا تنظر الى كثرة الجيوش والعساكر الذين اقامك الله عليهم ملكاً وسيداً . فاعلم ان هولاء كلهم مغتمون لغمك وان سررت فينسرون لسرورك فازل عنك الحزن فهز اسكندر راسه وقال هل ترون هذه الجماهير الغفيرة من العسكر فلا يمضي خمس عشرة سنة ويبقى منهم احد حياً بل يموتون وتطويهم الارض وكان عدد تلك الجيوش اكثر من مئتي ربوة من المقاتلين من اهل الهند وفارس والسريان واليهود والديلم وخراسان والصين والصابيين والكلدانيين

ومن الجزائر ومصر والافرنج ومن ارض العرب والحبشة والمغاربة وكل جنس ولغة من المشرق والمغرب والشمال والبحر هولاء كلهم كانوا مجتمعين في سهل حوران فوهبهم عطايا جزيلة ودعا لهم وباركهم ونادى المنادون بما قال اسكندر ثم اتى جميع المقتدرين من كل ناحية واجتمعوا الى اسكندر في ذلك السهل ومعهم هدايا عظيمة واموال جزيلة لاتحصى وفي ذلك اليوم بعينهِ حضر ارسطوطاليس الفيلسوف الاعظم معلم اسكندر من مكدونية من عند امهِ الملكة اوليمبيادة. فلما راه اسكندر فرح جداً بقدومهِ ونهض لاستقبالهِ وعانقهُ طويلاً وقال مرحباً بك يا ايها الشهم الجليل ها اني لما رايت صورتك زال شي من حزن قلبي ايها الحكيم المشرق شعاع نورك كالشمس معلمي الذي يفوق اهل الارض عقلاً يامن تعجبت من مصنفاتك حكما مصر واندهلت من مولفاتك فلاسفة المسكونة قل لي الان ايها العزيز ما حال اهل المشرق وماذا عسى ان يكون قد جرى بعدنا المملكة مكدونية وطننا وارضنا . وما هى حال والدتي ونور عيني الملكة اوليمبيادة . وماذا سمعتم عني . وهل تصدقون انني ملكت الارض وجميع الاقطار . وقد دانت لي روساء المسكونة حتى ذهبت الى اقصى الارض و وصلت الى ارض عدن وحدود الفردوس ودخلت جزيرة الطوباويين المباركين الذين ذكرت لي عنهم في كتبك فرايتهم بعيني ونظرت ملكهم ايقانين الذي اخبرني ان الهة اليونانيين مع العابدين لهم لايذهبون الى الفردوس بل الى الجحيم وقد اسلموا الى العذاب ليعاقبوا الى الدهر

فلما سمع ارسطوطاليس الحكيم هذا القول اعتراه ذهول وظهر لهُ منهُ عجب غريب واطرق ساعة ثم رفع راسهِ والتفت الى اسكندر وقال اشكر الاله العلي اذ سمعت صوتك العذب ولفظك الشهي ورايت جمال صورتك وبهاء طلعتك المزهرة ايها الملك المويد المظفر اسكندر سيد المسكونة اعلم يا ابني ان العالم باسرهِ اليوم مسرور بك ومزهر بشرف ملكك والسلامة

شاملة المسكونة لسلامتك وان الله تعالى قد منحك ما لم يمنحهُ احد من الناس من المجد والشرف وجميعهم يتضرعون اليهِ لدوام ملكك لانهم لا يؤملون بعد موتك ان يحفظوا بملك اخر حكيم مثلك . واما الملكة اوليمبيادة سيدتي والدتك فتهديك السلام والدعاء وهي مسرورة بصحتك و يخالط فرحها حزن لعدم مشاهدتها طلعتك الزاهرة في هذه السنين قائلة هل يمكنني ان انظر ولدي ووحيدي قبل الموت وابصر معهُ قرينتهُ روكسندرة الملكة كنتي فلما سمع اسكندر هذا القول من معلمهِ دمعت عيناه ثم نهض وامسك بيد الفيلسوف ودخل كلاهما وجلسا على المائدة للغذآ ثم نادى اسكندر كل الروسآء والعظمآء والمتقدمين وجميع كبار دولتهِ وروسائهِ الذين حضروا من جميع اقطار المسكونة الى مروج حوران فاجتمعوا للوليمة كلهم واما اصدقاؤهُ والمختصون بهِ مثل انطيوخوس وانديفونس وسلفكيوس وفيلبس و بطلوماوس فجلسوا معهُ على مايدتهِ بالقرب من ارسطوطاليس وامبطروشي وبتولبكر اطلوش احبائه فاجلسهم على راس الموايد الاخر التي كانت بالقرب من مائدتهِ فلما انتصف الغذاء وشربوا قدحاً ثالثاً نهض الفيلسوف واحضر الهدايا التي اتى بها من مكدونية من عند ام اسكندر الملكة اوليمبياده وهي تاجان عظيمان جداً وعجيبان واحد لاسكندر والاخر لروكسندرة وفرسان اشهبان بسرجيهما ولجاميهما مزينان بذهب نقي وحجارة ثمينة واسنان السباع وقرون الحيات ومائة حصان ملوكية بسروجها ولجاماتها وثمانية الاف درع باسلحتها وجلود سباع واربع كاسات من قرون الافاعي مرصعة بجوهر ناري يتقد جداً وختمان من جوهر خالص لايمازجه شي وكرسيان من ذهب نقي مرصعان بحجارة ثمينة ومطعمان بعظم الحيات والتمساح ومع الهدايا رسالة هذا نصها من الملكة اوليمبياده الى اسكندر القيصر الحبيب اعلم ياشمس المسكونة منذ غيابك عن عينيّ لم اذق لذة الوسن وها انا استحلفك يا ابني بان لاتدع فوادي متعطشاً لرويتك لان لاشيء يسليني عنك لا التاج والبرفير ولا كثرة الجنود ولا ركوب

الخيل ان لم ارى صورتك البهية لاسلوى للوالدة عن ولدها . فاما انك تعجل في الحضور ام تاذن لي بان اتي اليك لاراك قبل وفاتي والسلام . فقرأ ارسطوطاليس الحكيم هذه الرسالة وجلس في موضعهِ على المائدة وكان اسكندر جالسًا على كرسي عالٍ اثنتي عشرة درجة مصنوع باتم الصناعة من ذهب نقي وجواهر تتوقد كالمصابيح مطعماً بالعاج واسنان الحيات وقرونها وانياب السباع وقد كان هذا البورس ملك الهند . وفي ذلك اليوم سرق لاسكندر كاس من كؤوسهِ التي كان يشرب بها وكان ثمينًا جدًّا فلما بلغهُ ذلك قال ليظهر سارقهُ حيث يعلم الناس انهُ لاسكندر . فما اكمل كلامهُ الا اتى السارق بالكاس ووضعهُ امام اسكندر واقر باخذهِ ففرح اسكندر بذلك ووهبهُ قنطارًا من الذهب واطلق سبيلهُ فقال ارسطوطاليس لقد بالغت يا اسكندر في حلمك اكثر من جميع الملوك فاجاب اسكندر ثلاثة لابد لي منها هبة الكرام وعدم المحاباة والقضاء بالعدل وبدا يخبره عن كل ما جرى لهُ وما ابدى من الاحكام ونزل من المعارك وجميع الملوك الذين باطشهم واهلكهم وعن المغارة التي دخلها في ارض قنطركيا الى غير ذلك من الغرائب التي شاهدها حتى عجب الفيلسوف من ذلك وسالهُ قائلاً ان كنت لمثل هولاء الملوك والجبابرة قهرت فاين ذهبهم وفضتهم ومقتنياتهم التي غنمتها يا اسكندر . فاومأ بيده الى عظمائهِ ووزرائهِ ومساعديهِ في الوقعات والحروب فقال لهُ الفيلسوف كان الافضل ان يكون لك ولدٌ من صلبك ليملك بعدك ويسود على رعيتك ويدبرهم كما دبرتهم انت ويكون خليفة لك قال اسكندر لا اترك لكم ولدًا يملك عليكم ويملك مكدونية بعدي بل ارفع شان المكدونيين في حياتي وحسبكم ان يقال عنكم ان المكدونيين قد سادوا الارض وملكوها بسيفهم وان يذكروني حينًا بعد حين وتسطر الحروب والمعارك التي جرت من عهدي وفي الغد صنع اسكندر وليمة عظيمة لعظمائهِ ولروساء دولتهِ ولمقدمي العساكر ففرحوا جدًّا وراى هناك بعض القواد من اهل فارس يصبغ لحيته ليظهر شابًا فقال

لهُ اسكندر ياهذا عار عليك ان تكون لحيتك لحية شاب وركبك ترتخي من الكبر فما الفائدة من ذلك السواد ولا قوة لك اظن ان تعبك يذهب باطلاً وترى انك شاب والموت يخطفك خطفًا فلما سمع روساء اسكندر ذلك انقلبوا ضاحكين . وكان رجل اخر عظيم الجثة مهابًا الا انهُ كان جبانًا في الحروب وكان في الهيجاء يختفي ويولي الادبار فقال لهُ اسكندر ياهذا اما انك تغير هيبتك او تقتني شجاعة القلب والا فعار عليك عظيم وفي ذلك اليوم قبض اصحاب اسكندر ثلاثة الاف من اللصوص واوقفوهم قدامهُ لكي يعاقبهم قال لانهم راوا وجهي عفوت عن قتلهم لان القضاة تحكم بالقتل واما الملوك فبالعفو وامرهم ان يكونوا عنده في خدمة الصيد وان يتجنبوا السرقة ثم اتوا الى اسكندر بفتى كان يرمي بالسهام وزعموا ان سهمهُ ينفذ من الخاتم ولا يخطئ فاحضر للفتى قوسًا وسهماً وامره بان يبرز حذقهُ فلم يمسك القوس بيده فوثب اصحاب اسكندر عليهِ لعصيانهِ اذ لم يسمع ولا يذعن فامر اسكندر بقطع راسهِ . فلما دنا من موضع القتل حزنوا عليهِ وضربوهُ ليكف عن عناده ففكر في نفسهِ وقال خير لي ان اموت في ساعة واحدة واكون رب ارادتي من ابن يقهرني رجل فيشنع على اسمي وصنعتي فسالوه ولِمَ ذلك قال ان لي مدة عشرة ايام لم امسك القوس في يدي فاخشى ان اخطي في رميهِ امام الملك فيشنع على صنعتي ولهذا افضل لي ان اموت فاخبروا اسكندر بما قال فعجب منهُ ومدحه على ذلك ثم اتى احد الجند وسجد لاسكندر وقال يا حاكم المسكونة الملك المظفر لي ابنة وحيدة واريد ان ازوجها وليس لي ما انفق عليها . فامر اسكندر ان ياتوه بثلاثين قنطارًا من الذهب ثم قال لهُ زوج ابنتك قال هو جزيل ايها الملك قال اسكندر ليس كثيرًا فان العطية ينبغي ان تكون جزيلة . وبعد هذا احضر اسكندر لمعلمهِ ارسطوطاليس هبات جزيلة وهبهُ اياها منها تاج ثمين جدًّا ووشاح كان للملك بورس الهندي وعشرة الاف قنطار من ذهب وعشرة اكيال لولو وجهزه الى ارض مكدونية الى امهِ الملكة اوليمبياة واوصاه

بان يحضرها الى نواحي فلسطين ومصر وفي تلك الحدود كان اسكندر مع روكسندرة ابنة داريوس ومعهُ الجيوش والعساكر وفي تلك الايام اتى انسان الى اسكندر وقال لهُ يا اسكندر دمت على الدوام انني منذ ثلاثة ايام ذهبت لاصطاد على حافة نهر الدجلة فتراءت لي مغارة فدخلتها لانظر ما فيها فرايت كنزًا عظيماً جداً وذهباً جزيلاً لا يحصى فان شئت ارسل وخذه فضحك اسكندر واجابهُ ان الذهب والفضة هو كلهُ لله فلو شاء لوهبتهُ قبلك فاني اهبك ذلك فاذهب وخذه . قال الرجل ايها الملك العزيز انني قد اخذت ما قدرت وها لي يومان وليلتان انقل منهُ فانهُ شيء كثير فعجب اسكندر من ذلك ونهض راكباً حتى اتى الى الكنز فوجد شيئاً لا يحصى فقال هذا الكنز من خزائن داريوس الذهبية ثم امر بتفريقهِ على العسكر وفي اثناء ذلك اتي اليهِ مبشر بان امهُ الملكة اوليمبيادة قد حضرت من مكدونية فلما سمع امر عظماءهُ واصدقاءهُ وسائر روسائهِ ومقدمي الجنود والمتسربلين بالحلل الذهبية والجيوش ان يلبسوا افخر الملابس و يستعدوا للركوب للقاء الملكة امهِ واخرج خيوله المختصة بهِ وكانت الف جوادٍ سروجها ولجمها كلها من من ذهبٍ نقي مرصعة بالجوهر واخرج خمسين زوجًا من النفير ومائتين من الابواق والطبول والزمور في عدد عظيم من الالات الموسيقية المختلفة ورتبها وراءها عجلة عظيمة من الذهب النقي مرصعة بجواهر وحجارة ثمينة ولآلئ كبيرة مزينة بزينة تدهش الناظرين يجرها ماية من الخيل وارسل فيها امراته روكسندرة لملاقاة الملكة اوليمبيادة امهِ وصحبتها ماية الف من النساء الشريفات الجليلات المزينات باعظم زينة فلما راتهنَّ اوليمبيادة ونظرت حسنهنَّ وجمالهنَّ تحيرت من ذلك وسرت وبدات تمدحهنَّ وتعظمهنَّ وضمهنَّ اليها قائلة اهلاً وسهلاً بكنَّ جميعًا وعلى الخصوص بالملكة روكسندرة ابنة الملك داريوس كنتي . المجد للاله العليّ الذي وهب ابني امراة حسنة جميلة فائقة عقلاً وبراعة . فقالت روكسندرة مرحباً بوالدة الملك السامي

المجد الرفيع الشان سيد المشرق والمغرب قريني اسكندر اهلاً وسهلاً بالملكة اوليمبيادة سيدتي ولما فرغنا من التحية والسلام دخلت بها الملكة روكسندرة الى العجلة الذهبية واذا باسكندر قد وصل في جيوشهِ بزينة عظيمة وصنوف تذهل الناظرين وكان حولهُ الملوك الذين حضروا اليهِ ووزراؤهُ وعظماؤهُ ومقدمو العساكر والجنود على خيول كريمة من ارض المغرب وكان جميعهم لابسين على روؤسهم تيجانًا بهية تلمع كالبرق . واما عسكر المكدونيين فكانت خيولهم كلها بيضاء بسروج ولجم من ذهب نقي ووشاحاتهم من ارجوان وبرفير مطرزة بالذهب وعلى روؤسهم ريش من ريش الطاووس والنعام مضفورًا بذهب وعلا صهيل الخيل واضطراب العساكر حتى ارتجت الارض فلما قرب اسكندر خرجت الملكتان للقائهِ وانتشرت العساكر في ذلك السهل حتى امتلأ من الخيل والناس ووقفوا هناك . فلما اقترب اسكندر وصار على نحو ميل منهم نزل عن فرسهِ وكذلك عظماؤهُ ورؤساء دولتهِ كلهم نزلوا عن خيولهم وجرى مسرعًا حتى وصل الى امهِ وانطرح عليها وبكى واخذ يقبلها ويعانقها فاجابتهُ قد نسيتني يا ولدي يا سيد الارض وراسها . ثم دخلت الملكتان العجلة الذهبية واما اسكندر فانهُ ركب فرسهُ الاعظم وكان مغطى بوشاح من ذهب مرصع بحجارة كريمة وعلى راس الجواد شبه خوذة من ذهب واما اسكندر فكان على راسهِ تاج شبه خوذة فارسية وهو الذي كانت قد وهبتهُ اياه قنطركيا وكان شبه نسر ذي راسين باعين من جواهر حمراً تتقد في الليل كضوء النهار حاملاً في رجليهِ كتابة هذا نصها القيصر اسكندر العظيم الظفر وصاحب السعد الاكبر ضابط كل جهات الارض وسيدها . وكان العسكر عظيماً ومنظره جيداً ونظامه يفوق الوصف وكان مقسوماً الى طغمات جميعها حاملة اسلحة الحرب وصنوف الآلات الموسيقى وكان المكدونيون يمشون اولاً ويتبعهم الفرس ثم الهنديون ثم السوريون ثم العرب ثم الاقوام الافرنجية ففرقة كانت تضرب الموسيقى الحانًا محزنة . واخرى يسمع لها صوت حنون جداً وغيرها تصرخ بالحان

مفرحة واخرون يهتفون باصوات عالية تحمل الانسان على الحرب والقتال ومن يقدر ان يصف النظام الذي جرى لما التقى اسكندر بوالدتهِ واما فرقة اسكندر والذين معهُ فكانت الاتها من الطبول والزمور والنقارات والنفير والنايات والسنطير وجميع الات الموسيقى من ذهب نقي من كل نوع مائة زوج وكانوا اذا ضربوا بهذه الالات يسمع لها دوي في الارض عظيم فوصلوا الى حيث يبيتون تلك الليلة فامر اسكندر ان توضع المائدة للطعام واما هو فجلس على كرسي الذهب الرفيع العظيم الذي شبه المنبر واجلس عن يمينهِ والدته وعن شمالهِ روكسندره امراته وفي هذا النهار انسر جدًّا وذهب عنهُ بعض ما كان يعتريهِ من الغم واراد ان يشرح لوالدتهِ عن جميع ما اصابهُ وما كابده من الحروب والمعارك مع الملوك المردة والمتقدمين وعن كل ما شاهد من العجائب والغرائب في الارض من مشرقها الى مغربها ثم بعد ذلك امر بان تضرب الالات الموسيقية المختصة باليونانيين وكان لها ثلاثة الاف صوت وكل صوت كان يلحن حينًا تلحينًا مفرحًا وحينًا محزنًا وكان كل من سمع تلك الاصوات يمتلئ قلبه فرحًا وحزنًا معًا وهذه كانت صنعة فلاسفة اليونانيين القائلين ان علم الموسيقى فرع من علم الفلسفة وفرح اسكندر في ذلك اليوم فرحًا لا يوصف معامهِ وامرائهِ ونادى كل عظما دولته ووزرائهِ كلهم الى خيمتهِ وهم مسرورون جدًّا وامر اسكندر الموصوفين الشجعان والمتمرنين في ركوب الخيل والمتريشين بالحلل الذهبية ان يلعبوا بالرماح . ففعلوا حتى اغربت الشمس وفي الغد امرهم ان يرموا بالنشاب وفي اليوم الثالث اقترح ملاعب اخرى

وفي ذلك اليوم اتى اسكندر شابان من الابطال شهيران في ركوب الخيل وكانا اخوين مكدونيين وكان اسكندر يحبهما محبة مفرطة لانهُ كان قد رباهما وكانا منذ سنين لم يريا امهما لاجل محبة اسكندر وعزما على انهما لا يفارقاه البتة فلما راى الشيطان محبة اسكندر لهما ومحبتهما لهُ دخل في قلب امهما ولقنها

امرًا خبيثًا وحيلاً ردية وكان اسمها مجفيرا ففكرت في نفسها قائلة ان لم احيل على اسندر واقتلهُ لا احظى باولادي فصنعت شرابًا حلوًا ذا رائحة عطرة ومزجتهُ بسم قاتل وارسلتهُ في وعاء الى ولديها الفكادوشي وفريانوشي والرسالة تقول من امكما مجفيرا الى ولديَّ الشهيين جدًّا اما تعلمان ياولديَّ ان لي زمانًا طويلاً لم ارَ وجوهكما وطلعتكما الحسنة وكم رسالة ارسلت لكما ان تاتيا اليَّ وانتما تحتجان انكما لا تقدران ان تفارقا اسكندر بل اعلما ان المجد والشرف هو عندنا في مواطننا وارضنا فلماذا انتما تائهان في البلاد الغريبة والان اقسم عليكما باللبن الذي رضعتماه ان تحضرا اليَّ وان لم تحضرا تكونا محرومين مني وان لم يدعكما اسكندر ان تاتيا اليَّ ففي حال جلوسهِ على المائدة وقت غذائه اعطياهُ الشراب الواصل اليكما فان شربهُ بالحال يطلق سبيلكما فهذه رسالة مجفيرا الى ولديها كما علمها الشيطان الباغض السلامة فوصلت الرسالة الى ولديها لفكادوشي وفريانوشي اما لفكادوشي فهز راسه وبصق عليها واهتم في ذاتهِ واما فريانوشي فقرأها وتبسم واخذ ذلك الاناء الذي كان فيهِ الشراب المسموم وخباه باحتفاظ فقال لهُ لفكادوشي اطرح هذا الاناء واكسره لانهُ رجس لا يعقبنا منهُ خير اما لفكادوشي فكان رئيسًا ومقدمًا على خيل اسكندر كلها وفريانوشي كان ساقي اسكندر يسقيه بيده وكان اسكندر يحبهُ ويركن اليهِ الا انهُ كان ذا مكر ودهاء وكان يكمن الغش في قلبهِ . وكان يطلب من اسكندر ان يخولهُ حكم ارض مكدونية فابى اسكندر وقال لهُ كل الممالك التي تحت يدي اقسمها واهبها لاصدقائي واما مملكة مكدونية فلست اعطيها لاحد بل انا بذاتي اترأس عليها الى ان اموت لان اسمي عليها ويقال عني اسكندر المكدوني وملك مكدونية فاذا مت يهبها الله تعالى لمن يشاء . فحقد عليهِ فريانوشي وكان ذلك علة موته واراد في تلك الساعة ان يعطيه ذلك الدواء القاتل ومضى وامسك القدح وهم ان يعطيهُ اياه وكان ينظر الى طلعة اسكندر ويندم ويرجع القدح الى موضعهِ . هذا فعلهُ مرتين ثم عاد

فاخفى الشراب لوقت اخر ولم يزل يفعل ذلك مدة سبع سنين ولم يقدر ان يقتله لان اخاه ابى ذلك بل قال له اخشَ الله ولا ترتكب هذا الذنب القبيح وتهلك سيد المسكونة ملك الهند والصين الذي اندهشت لحكمته جميع الملوك والشعوب فتصير سببًا لسفك دماء الملا وربما يحدث لنا ايضًا ضرر فالتمس منك ان لا تصنع في اسكندر هذا الصنيع . فلم يسمع منه بل اضمر المكر في قلبه وهكذا تمت المكيدة التي اصطنعها هذا الانسان كما سياتي ذكره وفي الغد صنع اسكندر وليمة عظيمة لروسائه وعظما دولته واتت اليه الجزية من كل المسكونة وحدود المشرق والمغرب الى اطراف الارض ذهبًا كثير المقدار فجلس على المائدة وهو مسرور في ذلك اليوم وكان له كاس جيد مصنوع من جواهر نارية تتقد اتقادًا فبهذا القدح كان يشرب دائمًا . وفيما هو يشرب ترك الكاس للملكة روكسندرة واما فريانوشي فلم يضبط الكاس جيدًا بل بحيلة من الشيطان وقع من يده فانكسر فاغتم اسكندر جدًا واغتاظ على فريانوشي والمه بالكلام فاغتاظ فريانوشي وتمرمر من اسكندر لعلة كسر القدح الجوهر وذكر ذلك الدواء القاتل واراد ان يناوله اياه في تلك الساعة فلم يتركه اخوه لنكادوشي ايضًا ولم يهوَ موت اسكندر وفي هذا اليوم انتهوا الى اورشليم واخبروا اسكندر بان رئيس الكهنة قد توفي فحزن على موته وفي الغد اتى قوم اليه قائلين ايها الملك العزيز اسكندر قيصر ان مدينة اسكندرية التي بنيتها لا نسكنها قال لماذا قالوا لان افاعي كبيرة وتماسيح تخرج من نهر الذهب وتاكل الناس فامرهم ان اذهبوا الى بيت المقدس واحملوا جسد رئيس الكهنة الى مدينتكم واقسموه اربعة اجزاء وادفنوه في اربعة اطراف المدينة فتنجوا من غضب الافاعي ببركة هذا النبي ففعل القوم ذلك وسكن عنهم دبيب الافاعي . ثم اتت اليه امرأة قائلة ايها الملك ان رجلي يهينني ويجلدني ضربًا . اجابها ليس لي ان احكم بين المرأة وزوجها فان رجلك هو راسك ومن عادة الجسد كله ان يخضع للراس ثم احسن

اليها واطلقها وامر الملوك الذين معه والروساء ان يذهب كل واحد منهم الى مملكته وكورته باكرام واما هو فعزم ان يقيم مع امه وامرأته وجيش مكدونيا المختص به . وفي الغد ذهب الى الصيد فاصطاد كثيرًا

وفي ذلك اليوم تقدم فريانوشي الى اسكندر قائلاً يا سيدي العزيز هبني ان احكم بلاد مكدونية وتكون نصيبي قال يا ولدي انت تعلم اني اخذت الامم وممالك الارض بسيفي الا ان جميع الملا يدعونني اسكندر المكدوني ولقب مكدونية خصوصي بي لكن اهبك ارض كيليكية وسورية وانطاكية العظيمة التي يسكنها اكثر من الف ربوة من الناس فلم يهوَ فريانوشي ذلك بل افتكر انه ان قتل اسكندر يملك الارض كلها عوضه . وفي تلك الساعة اتى بالشراب القاتل الذي كان مخبأً عنده فوضعه في قدح فشرب منه اسكندر وللوقت ارتجف جسمه كله وبرد حتى صار كالجليد ففطن اسكندر في الحال انه شرب سمًا قائلاً وصرخ صوتًا عظيمًا نحو فيلبس الطبيب الكبير قائلاً يا حبيبي فيلبس اعلم ان قدح الشراب الذي شربته الان سم قاتل فافعل معي الان ما قدرت من الخير فلما سمع فيلبس كلام اسكندر وصراخه امسك خوذته عن راسه وطرحها مولولاً وضرب راسه في الارض ثم نهض مسرعًا ووضع دواء ناريًا حارًا ومعه بخور اللبان فسقى اسكندر فلما سمع لنكادوشي ما جرى باسكندر لم يطق ان ينظره بعينه بل من فرط حزنه اتكا على سيفه فدخل السيف في قلبه ومات . واما اسكندر فقال لفيلبس يا حبيبي فيلبس لعلك تعينني بشي فارجع الى الحياة قال فيلبس وهو باكٍ يا هام المسكونة الملك المظفر لا يقدر احد في هذه الساعة بهذا الحال ان يحيي ويميت ويقبض سوى الله الواحد فهو يساعدك لان السم سرى في جميع جسدك ولا يمكنني ان اساعدك الا ان اوقف السم الى ثلاثة ايام فقط بحيث ترتب امر مملكتك وتدبر احوالك وتوصي المسكونة وملوكها . فلما سمع اسكندر قول فيلبس بكى وانتحب وقال ما امر هذا الموت الشنيع ما امر مجد العالم البطال وشرفه الكاذب

الذي يضمحل في طرفة عين ليس في هذا العالم فرح الا و يعقبهُ حزن ياسماء يالارض ياشمس يا ايها الناس والروساء والمتسلطون ياجبال ياتلال ياسهل ياوعر يا ايتها البحار والانهار والعيون ابكوا معي في هذا اليوم انا المتوجع المحزون الذي من مدة يسيرة ظهرت في الارض وها انا راجع اليها لماذا حتم باخذي بغتة ويلي ما هذه الحيوة الكاذبة اين مجدي وعزي اين شرفي واقتداري اين رفعتي وسلطاني ايها الجنود والعساكر المنتخبون والموصوفون بالحروب في يوم الوغى وساعة الهيجا اللابسون الحلل الذهبية والراكبون الخيل المنتخبة والمحبوبون مني والمحبوب انا منهم انقدرون ان تعينوني الان لكي اخلص من الموت المر وارجع الى حياتي . فلما سمع المكدونيون تحجيج اسكندر وعويله وصراخه وبكاه اجابوه قائلين يا اسكندر سلطان الملوك وعظيمهم لو ان الموت يقبل فدية عوضك لقد كنا جميعنا نعطي ارواحنا فدا عنك ولو عرفنا من اية ناحية ياتي الموت اليك لكنا اسلمنا نفوسنا للحرب والذبح بدلاً منك اما انت يا اسكندر فقد عشت محموداً وتموت مكرماً فاذهب بسلام الى المكان المعد لك الذي عرفتهُ

واما فيلبس الحكيم فاحضر بغلاً وشقهُ حياً وادخل اسكندر في جوفهِ . ثم ان اسكندر رتب الممالك كلها واحضر بطلوماوس وفيلونيوس وسلم اليهما امه اوليمبيادة وامراتهُ روكسندرة وقال لهما ايها الاخوان المحبان اني اسلم اليكما والدتي وامراتي لانكما اميناي وصديقاي وكما كنت احبكما محبة حقيقية من القلب خالصة من الغش الى الموت فلتكن محبتكما صادقة لهاتين الامراتين احسنا الصنع معهما الى ان تموتا وتدبرا انتما مملكة مكدونية جيداً وارفعا جسدي من هنا الى مدينة اسكندرية وانا مومل اننا سنلتقي في المعاد الثاني في الواقعة العلوية حيث تقوم الاجساد المائتة منذ الدهر . واعلما ان الفرس لابد لهم ان يحكموا مكدونية كما نحن حكمنا الفرس . ثم ان اسكندر نادى روكسندرة وامسكها من عنقها وجعل يعانقها بنحيب شديد ويسليها قائلاً

يا روكسندرة ابنة الملك داريوس الجميلة في نساء الارض قرينتي التي حبها عندي لايقاس سيدة اهل فارس ومكدونية والهند وسائر الممالك اعلمي انكِ كنتِ من حظي ونصيبي وهكذا جمعنا الله معًا ومثلنا غصنا كرمة من جنة وقد شهرت لكِ مكتومات قلبي وانتِ اعترفتِ باسرار قلبكِ وقضينا زمانًا حسنًا فاعلمي يا روكسندرة ان محبتنا قد افترقت الان وخمدت وهوذا انا ماضٍ واتركك في العالم . ثم قبلها شديدًا وعانقها وتركها ثم بدا ان يقبل كل وزرائهِ وعظمائهِ المحبوبين منهُ وقال لهم يا احبابي من الان لاترون اسكندر معكم ثم امر بان ياتوه بحصانهِ راس العجل فاحضروه فنظر الحصان الى اسكندر وهو ينازع فبدا يضرب براسهِ و يتمرمر و يهطل الدموع و يضرب بحوافره الارض و يدور حول سرير اسكندر ولم يتجاسر احد ان يمسكهُ . واما اسكندر فمد يدهُ وامسكهُ من اذنهِ وضمهُ اليهِ فاجابهُ الوقوف أرايت يا اسكندر حتى ان هذا الفرس نائح وحزين على موتك حينئذٍ بكى اسكندر وقال للحصان ايها الفرس الكريم لا يركبك مذ الان اسكندر اخر ثم انهُ التفت فراى فريانوشي الذي دفع اليهِ السم وقال لهُ اتعلم باي مقام كنت عندي واية كرامة وهبتك اياها وكنت امينًا لي وصديقا فلماذا عملت معي هذا العمل وسقيتني في شرابي سماً . فاذكر ما احسنت اليك وفي حال كلام اسكندر لفريانوشي وثب الحصان على فريانوشي بغتةً وامسكهُ من عنقهِ وعض عليها باسنانهِ وجذبهُ اليهِ ورماه الى الارض ولم يزل يدوسه بيديهِ ورجليهِ ويضربهُ بحوافره الى ان مزقهُ تمزيقًا فلما راى اسكندر ذلك تحير واعتجب وقال اشرب انت يا اخي من هذه الكاس التي سقيتني اياها من هذا الفرس الحيوان غير الناطق حينئذٍ امر بطلوماوس ان يقطعهُ تقطيعًا ويرموه للكلاب فامر اسكندر باحضار كاتب واخذ يملي عليهِ كتابًا هذه صورته . من عبد الله اسكندر المتولي الذي كان بالامس على اقطار الارض وهو اليوم رهينها الى امهِ اوليمبياده الحبيبة الحنونة التي لم يتمتع بقربها السلام الطيب الرائحة الزكي العرف ان سبيلي يا اماه

سبيل من قد مضى من الاولين وانتِ ومن يتخلف بعدي في الاثر ومثالنا في هذه الدنيا كاليوم الذي يدفع ما قبله كما عرفتِ الملك فيلبس حيث لم يجد سبيلاً الى المقام معكِ . فتدرعي بالصبر وانفي عنكِ الجزع واعتزلي ومري ان لايدخل اليك الا من لم تنلهُ مصيبة ولا بلي بداهية لتعرفي ما في ذلك فتستقري على امرك فان الذي اسير اليهِ خير مما كنت فيهِ . فاحسني الى نفسكِ بقبول العزاء والصبر لئلا يقوى الحزن عليك فان قلتِ ان السخا يدفع عنا فقد ارسلنا قدامنا اثني عشر قنطارًا من الذهب وان قلتِ ان الرجال يفدوننا فنحن نملك على الدنيا باسرها وما دفعوا عنا جزاء من شدتنا وان قلت الحكماء فكان موجودًا عندنا الفا حكيم وما ازالوا عنا شيئًا ولكن هذا كله باطل وكتابي هذا في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة كتبتهُ اليك رجاء ان تتعزي بهِ ويحسن موقعهُ منك فلا تخيبي ظني ولا تحزني نفسك والسلام

وامر بختم الكتابة وارسالها الى امهِ وتقدم الى فيليمون وزيره قائلاً ان يستر موته ويعجل بالمسير الى اسكندرية ويقال ايضًا انهُ لما بلغ قوموش مرض بها مرضًا شديدًا وكل يوم كان يزداد ضعفه وكانت امه قد سالت الحكماء فقالوا لها حين ولدتهُ انهُ يهلك في موضع سماؤه ذهب وفضة وارضه حديد فمضى حتى اتى شاهرون فبينما هو في سيره اذ اشتد بهِ الكرب فنزل والقى لهُ بساط وفوقه درع من حديد فجلس عليهِ واظل بترس مموّه بالذهب فلما نظر ذلك ذكر قول امهِ ثم قضى اجله ومات فلما ورد الكتاب الى امهِ امرت بان يحضروا لها طعامًا وارسلت فاستدعت جميع الناس الى الطعام واوصت من هو قائم بالباب ان لايدع احدًا يدخل الا من لم تنلهُ مصيبة فجعل البوابون يسالون من اتاهم فاذا وجدوه قد اصيب بشي لم ياذنوا لهُ بالدخول حتى صدرت الناس كلها فلم يبق احد فلما رات ذلك ام اسكندر حسن عزاوها وصبرت وايقنت انهُ هذا السبيل . وجعل فيليمون الوزير جسد

اسكندر في تابوت من ذهب اجلالاً لهُ وملأه عسلاً وستر الوزير موته . وقاد الجيوش والخزائن الى اسكندرية فلما وصل اليها اظهر للناس موت اسكندر واخرج التابوت ووضعهُ في وسط البلاط وامر فيليمون الوزير الحكما ان يفوه كل واحد منهم باية تكون للخاصة تعزية وللعامة عظة

فقال فيليمون الحكيم . هذا يوم عظيم العبر اقبل من شره ما كان مدبرًا وادبر من خيره ما كان مقبلاً فمن فقد ملكهُ فليبكِ

قال افلاطون . ايها الساعي المغتصب جمعت ماخذ لك وولى عنك فلزمتك اوزاره وعلا على غيرك هناوه

قال تاوون . صدر عنا اسكندر ناطقًا وقدم علينا صامتًا

قال ارسطوطاليس . قل لرعية اسكندر هذا يوم ترعى الرعية فيهِ راعيها

وقال فيلن . هل يعزينا على ملكنا من لم تنلهُ مصيبة

وقال اخر . هذه الطريق لابد من سلوكها فارغبوا في الباقية كرغبتكم في الفانية

وقال اخر . كفى بهذه عبرة ان بالامس الذهب كان كنز اسكندر واليوم اصبح اسكندر مكنوزًا بالذهب

وقال اخر . سيلحقك من سره موتك كما لحقت من سرك موته

وقال بلوطن الفيلسوف . لاتعجبوا ممن لم يعظنا في حياتهِ فقد صار بموتهِ لنا واعظًا

وقال مطرن الحكيم . قد كنا ايها الشخص الجليل بالامس نقدر على الاستماع منك ولا نقدر على القول فهل تسمع الان ما نقول

وقال اخر . لم يودبنا اسكندر بكلامه كما ادبنا بسكوته

وقال ديمتر الحكيم . يامن كان غضبه الموت لما لاغضبت على الموت

وقال اخر . خافت حصونك ايها الشخص وامنت حصون خايفيك

وقال اخر . ما اصدق الموت لاهلهِ غير انهم يكذبون عيونهم ويصمون آذانهم

وقال فليقطن الحكيم .ان دنيا تكون هذه اخرها فالزهد في اولها اولى

وقال اخر .ايها الجميع لاتبكوا على من جاز البكاء عنهُ بل فليبكِ كل رجل منكم على نفسهِ

وقال اخر .ان كان لايبكي على الموت الا عند حدوثهِ فالموت في كل يوم جديد

وقال اخر. ياهذا الذي كان غضبهُ مرهوبًا وجانبه ممنوعًا فان غضبت لايفرق الموت منك ولم لا امتنعت لتنفي الذل عنك

وقال اخر . لقد كنت مغبوطًا فاصبحت مرحومًا ولئن كنت مرتفعًا فقد اصبحت متضعًا

وقال اخر. كفى العامة اسواءً بموت الملوك وكفى الملوك عظة بموت العامة

وقال اخر. قد كان صوتك مرهوبًا وملكك عاليًا فاصبح الصوت وقد انقطع والملك قد اتضع

وقال اخر. ما وعظنا اسكندر بعظة هي ابلغ من وفاتهِ

وقال اخر. لئن كنت بالامس لايامنك احد فلقد اصبحت اليوم لايخافك احد

وقال اخر. قد اوصيت الى من كان لهُ عليك دين ولابد من اقتضاء ذلك منك فياليت شعري كيف كان صبرك عند اقتضا الدين والحق منك

فلما فرغت الفلاسفة من الكلام قامت زوجة اسكندر روكسندرة ابنة الملك داريوس ملك العجم وكانت من اعز الناس الى اسكندر فوضعت خدها على التابوت وقالت ماكنت احسبك ايها الملك بعد ان غلبت دار الدنيا ان ملكك يغلب

ثم قالت للفلاسفة .ان كان منطقكم في اسكندر هزءًا فقد خلف الكاس التي شربها معكم فكلكم تشربونها لانها دين عليكم وان كانت تعزيةً وندبًا فاستعدوا للجواب والحجة والاعتذار فانهُ ذاق ما ستذوقون وليكن العمل

على قدر القول فانكم غيرآمنين

ثم ان ام اسكندر ايضًا خرجت ووضعت خدها على التابوت .وقالت قد بالغتم في التعزية والذي كنت احذره على اسكندر قد جد اليهِ فلم يبقَ ملك ولابقي عليهِ فليكثر في الدنيا زهدكم واعطوا الحق صاحبه فقد قبلت تعزيتكم وامرت بدفنهِ وملك ولهُ من العمر ست عشرة سنة. هذاماوقفناعليهِ من اخباراسكندر

وما جرى لهُ من الفتوحات
والمعارك التي احدثها من
ابتدائها الى انتهائها
ونرجوممن يقف عليهِ
غض الطرف مماسها
بهِ القلم وزلت بهِ
القدم فان
العصمة
لله

